www.quranonlinelibrary.com

مسائل في الرسم والنطق

تأليف
الدكتور غانم قدوري الحمد
جامعة تكريت - العراق

دار احياء التراث العربي
بيروت - لبنان

www.Quranonlinelibrary.com

مسائل في الرسم والنطق

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الإهـــداء

إلى الأستاذ منصور عبد الله محمد أبو بكر

من المملكة العربية السعودية

الذي سألني عدداً من الأسئلة، فشكَّلت إجابتُها أصل هذا الكتاب

وإلى الأستاذ محمد بن محمود زيدان من الجزائر

الذي سألني عن بعض ما سألني عنه الأستاذ منصور

فحملني ذلك على التعجيل في كتابة هذه الأجوبة

أرجو أن تحقق بعض ما يطمحان إليه

وأن ينتفع بها كل مَن قرأ فيها أو اطلع عليها، مِن مُعَلِّمٍ أو مُتَعَلِّمٍ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مقدّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فقد سألني الأخ الأستاذ منصور أبو بكر، أسعده الله، من المملكة العربية السعودية، عدداً من الأسئلة المتعلقة بقضايا لغوية: صوتية وإملائية، ورَغِبَ أن أكتب له أجوبة عليها، ووعدته بتلبية طلبه، وتأخرت بضعة أشهر بسبب اشتغالي بشرح المقدمة الجزرية حينذاك، وبعد أن فرغت من ذلك، والحمد لله، عدت إلى أسئلة الأستاذ منصور، أتأملها وأفكر في الإجابة عليها، إيفاءً بوعدي له، وهو قد أحسن الظن بي. وسبق لي تناول بعض الموضوعات المتعلقة بأسئلته في ما كتبتُه من أبحاث وكتب، ولم أجد من المناسب إحالتَهُ عليها، لأنها قد لا تكون قريبة منه، وقد لا يجد ما سأل عنه مجتمعاً في موضع واحد.

وقديماً سأل سائل أبا العلاء العطار (ت٥٦٩هـ)[1] ليذكر له جُمَلاً في تحقيق القراءة وترتيلها، وتجويد التلاوة وترسيلها، فأجابه بتأليف كتاب (التمهيد في معرفة التجويد)، وقال في مقدمة الكتاب كلمة أنقلها هنا لجزالة ألفاظها، وجودة معانيها، وإن كانت إجابتي لأسئلة الأستاذ منصور جاءت مختصرة، ولا أحسبها موفية بالغرض، عسى أن تحقق بعض ما كان يرجوه.

قال أبو العلاء العطار: (فأجَبْتُكَ[2] على ما أنا من تَقَسُّمِ الفكر لترادف الغُمُوم،

---

(١) أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار، الإمام الأستاذ الحافظ، شيخ أهل همذان والعراق، مقرئ محدث مفسر، جليل القدر، من أشهر كتبه غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، توفي سنة تسع وستين وخمس مئة (ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار ١٠٣٩/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ٢٠٤/١).

(٢) في الأصل (فأسألتك) يعني أجبتك.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وتَشَعُّثِ الخاطر لتكاثف الهُمُوم[١]، جارياً على المألوف من تَوَخِّي رضاك، راجياً من الله تعالى أن يُبَلِّغَكَ أقصى مُرَادِكَ ومُنَاكَ، وسلكتُ في النهوض بِعِبْئِهِ، والعنايةِ بتأليفه وجمعهِ مذهبَ أبي زُبَيْدٍ الطائي[٢] في قوله:

حَمَّالُ أثقالِ أهلِ الوُدِّ آوِنَةً أُعْطِيهُمُ الجُهْدَ بَلْهَ ما أسَعُ

فذكرتُ من ذلك جُمَلاً لا يَشُوبها الإسهاب والإكثار، ولا يَزْرِي بها الإقلال والاختصار، مستعيناً بالله في ذلك، وفي جميع أموري، وعليه أتوكل، وهو حسبي ونعم الوكيل).[٣]

وجعلتُ إجابتي في ستة مسائل، وإن كان عدد الأسئلة بضعة عشر سؤالاً، لأني وجدت بعض الأسئلة تتداخل إجابته مع أجوبة غيره، وهذه عناوين تلك المسائل:

(١) حروف الهجاء: أسماؤها، وترتيبها، ووظيفتها.

(٢) الحركات: طبيعتها، وعلاماتها، وطريقة نطقها.

(٣) الهمزة وعلاقتها بحروف المد، نطقاً ورسماً.

(٤) ظواهر صوتية: القلقلة، والغنة والتنوين، و(أل) الشمسية والقمرية.

(٥) الفصحى والعامية.

(٦) الطريقة المثلى لتعليم القراءة والكتابة.

والتزمت في كتابة هذه الأجوبة بأمرين:

الأول: الاعتناء بالجوانب الأساسية لكل موضوع، وعدم الدخول في التفاصيل التي لا تتعلق بإيضاح المسألة التي وقع السؤال عنها.

الآخر: ذكر المصادر التي نقلتُ منها بعض النصوص أو استشهدت ببعض ما

---

(١) رحم الله أبا العلاء العطار ! ماذا سيقول لو عاش في زماننا هذا.

(٢) أبو زُبَيْدٍ حرملة بن المنذر الطائي، شاعر جاهلي مُعَمَّر، أدرك الإسلام إلا أنه لم يُسْلِم (ينظر: ابن سلام: طبقات الشعراء ص١٣٢، وابن قتيبة: الشعر والشعراء ٢/٣٠١).

(٣) التمهيد ص ٥١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ورد فيها من أفكار، لكني لم أُثْقِلِ الهوامش بها، ولم أستقصِ كل ما له علاقة بموضوعها. ويعني ذلك أن هذه الأجوبة فيها جانب من متطلبات البحث العلمي، لكن من غير التزام صارم بجميع تلك المتطلبات.

ويلزمني في هذا المقام التوجه بالشكر بعد شكر الله تعالى إلى أخي وصديقي الأستاذ عمار محمد الخطيب الذي قرأ هذه الأجوبة وقَوَّمَ ما فيها من عوج، وطلب مني التعجيل بنشرها لِمَا يتوقع من حصول النفع بها للمهتمين بتعليم الكتابة العربية والنطق العربي، فجزاه الله تعالى كل خير.

وأقول في خاتمة هذه المقدمة ما قاله أبو الحسن السَّعِيديُّ (ت٤١٠هـ)[١] ـ رحمه الله ـ في أول رسالته التي ألَّفها في (التنبيهِ على اللَّحْنِ الجَلِيِّ واللَّحْنِ الخَفِيِّ) إجابة لسؤال واحد من أصحابه: (فأجَبْتُكَ إلى ذلك لِمَا يَلْزَمُنِي من حَقِّ المودة والإخاء، والنُّصْحِ لأهل الدين والأخلاء، فكتبتُ لك ما مَرَّ به فكري، وهَمَّ به خاطري، واستعنتُ اللهَ على ذلك، وسألته أن يجعل مسألَتَكَ إيايَّ وجوابي لك خالصاً لوجهه، وأن يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّ ويرضى برحمته)[٢].

غانم قدوري الحمد

تكريت

---

(١) علي بن جعفر بن سعيد، أبو الحسن السعيدي الرازي الحذاء، نزيل شيراز، أستاذ معروف، له مصنف في القراءات الثمان، احتج للقراءات التي تضمنها الكتاب نصر بن علي الشيرازي في كتابه (الموضح في وجوه القراءات وعللها)، وبقي السعيدي إلى حدود العشر وأربع مئة (ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار ٢/٦٩٩، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٥٢٩).

(٢) أنجزت كتابة المسائل الخمس الأولى في سنة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م، وأنجزت كتابة جواب المسألة السادسة هذه السنة ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م، والحمد لله رب العالمين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الأولى
حروف الهجاء: أسماؤها، وترتيبها، وفائدة تعلمها

اللغاتُ البشريةُ أصواتٌ تصدر عن آلة النطق لدى الإنسان، تنتظم في كلماتٍ وجُمَلٍ لتعبِّرَ عن أغراض الناس وحاجاتهم، وهي (في كل أمة بحسب اصطلاحهم)[١]. وكان عالم العربية أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي المتوفى سنة (٣٩٢هـ) عرَّف اللغة بقوله: (أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم)[٢].

وإنما ذكرتُ هذه الحقيقة عن اللغة لأُذكِّرَ القارئ أن الكتابة ليست هي اللغة، وإنما هي وسيلة لتسجيل اللغة، وقد مرَّت قرون طويلة لم تعرفِ البشرية فيها الكتابة، على ما يقول أهل التاريخ[٣]، وإن كانت هناك روايات تنسب وضع الكتابات إلى أبي البشر آدم عليه السلام ـ وسوف أُشير إلى هذه الروايات ومدى صحتها.

إن الحديث عن أصل حروف الهجاء، وهي الرموز التي ترسم بها أصوات اللغة، يدعونا إلى تتبع نشأة الكتابة، والوقوف على مراحل تطورها، قبل الحديث عن أسماء الحروف وترتيبها، وبيان فائدة تعلمها، وسوف أتناول هذه القضايا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: نشأة الكتابة وتاريخ تطورها.

المطلب الثاني: أسماء الحروف.

المطلب الثالث: ترتيب الحروف.

المطلب الرابع: فائدة معرفة ترتيب الحروف.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة ص٥٤٦.

(٢) الخصائص ١/٣٤.

(٣) ديرينجر: الكتابة ص١٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الأول: نشأة الكتابة، وتاريخ تطورها:

الكتابة قديمة في المجتمعات البشرية، لكن من غير اليسير إعطاء تاريخ محدد لنشأتها وأول ظهورها، ويبدو أن الكتابة الأبجدية، وهي التي تقوم على تخصيص رمز واحد لصوت واحد، جاءت بعد مراحل من التطور حاول فيها الإنسان أن يجد وسيلة لتسجيل أفكاره ولغته.

ويكاد مؤرخو الكتابات البشرية يتفقون على أن الكتابة مرَّت بمراحل قبل أن تصل إلى مرحلة الكتابة الأبجدية، وأبرز تلك المراحل[1]:

١. **مرحلة الكتابة التصويرية**، وتقوم على أساس رسم صور الأشياء التي تحيط بالإنسان، لكن العلاقة بين تلك الأشياء والجوانب المعنوية والمشاعر الإنسانية يصعب التعبير عنها بالصور، ومن ثم لم تكن هذه الطريقة في الكتابة كافية، مما أدَّى إلى تطوير هذه الطريقة لتكون أكثر قدرة على التعبير عن تلك الأمور.

٢. **مرحلة الكتابة التصويرية الرمزية**، صارت العلامة (أو الصورة) تستخدم للدلالة لا على الشيء المادي الذي تمثله فحسب، بل للدلالة أيضاً على الأسماء والأفعال والصفات ذوات العلاقة بالشيء المادي الذي تمثله العلامة، فصورة القدم مثلاً بعد أن كانت تستخدم للدلالة على القدم فقط في المرحلة السابقة أصبحت تدل على القدم أو المشي أو الوقوف.

٣. **مرحلة الكتابة المقطعية**: ظلت الكتابة التصويرية والرمزية قاصرة عن التعبير عن لغة التخاطب وكتابة الجمل الكاملة بما فيها من أسماء وأفعال وأدوات نحوية مختلفة، ومن هنا جاءت الحاجة لابتكار طريقة جديدة للتعبير عن ذلك فكانت الطريقة الصوتية المتمثلة بالكتابة المقطعية أولا، ثم الكتابة الأبجدية بعد ذلك، والأساس الذي تقوم عليه الطريقة المقطعية هو استعمال القيم الصوتية

---

(١) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص٦٩. وعامر سليمان: الكتابة المسمارية والحرف العربي ص٩ ـ ١١، وديربنجر: الكتابة ص١٦ ـ ١٧، وكتابي: علم الكتابة العربية ص٢٧ ـ ٢٩، وجواد علي: المفصل ٨/١١١ ـ ١١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

للعلامات الصورية والرمزية للدلالة على مقاطع صوتية تستعمل في كتابة كلمات لا علاقة لها بمعاني ورموز تلك العلامات.

٤. **مرحلة الكتابة الهجائية:** يحتاج من يستخدم الكتابة المقطعية إلى استعمال مئات الرموز للتعبير عن المقاطع الصوتية التي تتألف منها اللغة، ومهَّد ذلك لابتكار الكتابة الهجائية، التي تقوم على تخصيص رمز واحد للصوت الواحد، أي أن عدد الرموز المستعملة في الكتابة يكون مساوياً لعدد الأصوات التي تتألف منها اللغة، بشكل عام، وانخفض بذلك عدد الرموز المستعملة في الكتابة إلى أقل من ثلاثين رمزاً.

هذه الصورة لتطور الكتابات البشرية صورة تقريبية، لا تضع خطوطاً فاصلة بين مرحلة وأخرى، لكنها تشير بصورة عامة إلى مراحل تقدُّم البشرية في سبيل إكمال نظام كامل للكتابة، فإذا كانت المرحلة الأولى للكتابة تتمثل بالرسوم التي خطتها الأمم البدائية على الجدران، فإن الكتابة المصرية القديمة المعروفة بالكتابة الهيروغليفية تمثل مرحلة الكتابة التصويرية الرمزية، ويمثل الخط المسماري الذي كتبت به اللغة البابلية والآشورية في العراق القديم مرحلة الكتابة المقطعية، ولا يزال هذا النظام معمولاً به في الكتابة الصينية واليابانية.

ومعظم الكتابات المعروفة اليوم تستعمل الكتابة الهجائية، لسهولة تعلمها، ويسر استعمالها، موازنة بالنظم الأخرى للكتابة، والكتابة العربية إحدى الكتابات التي تعتمد على هذا النظام الكتابي، لكن المؤرخين لم تسعفهم الوثائق للجزم بتاريخ معين لبدء استعمال هذا النظام الكتابي في تدوين لغتهم.

إن فهم خصائص الخط العربي يقضي الوقوف على تاريخه والروابط التي تربطه بالخطوط الأخرى، وهذه مسألة لم تتوفر للدارسين كل مستلزمات إيضاحها، وتعددت فيها وجهات النظر، وللمتقدمين في هذه المسألة روايات، وللمحدثين آراء وتفسيرات، قد يطول عرضها وتتبع كل ما قيل حولها، لكن الإلمام بأهم جوانب المسألة يساعد على فهم خصائص حروف العربية من جانب أسمائها، وترتيبها، وطريقة رسمها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإذا كنا نتحدث هنا عن الخط الذي يستعمله العرب اليوم في كتابتهم فإن ذلك يعني أننا نتحدث عن الخط العربي الشمالي الحجازي لا الخط العربي الجنوبي القديم الذي يُعْرَف في تراثنا بالمُسْنَد، وهو خط أهل اليمن القديم، الذي لا تزال مباني اليمن القديمة تحتفظ بما لا يقطع تحت الحصر من النصوص المكتوبة به، وتُجْمِعُ كلمة الدارسين اليوم على أن ذلك الخط كان قد زال من الاستعمال قبل ظهور الإسلام بقليل، وأن الكتابة العربية التي نستعملها اليوم، وكُتِبَ بها تراثنا لا تمت إلى ذلك الخط بصلة واضحة[١].

ويمكن تلخيص آراء الدارسين في أصل كتابتنا العربية في محورين: قديم وحديث.

يدور المحور القديم حول عدد من الروايات، غير المسندة، بعضها يَنْسُبُ وضع الخطوط كلها إلى آدم عليه السلام، ومنها الكتابة العربية، وبعضها يَنْسُبَ وضع الخط العربي إلى إدريس عليه السلام، أو إسماعيل عليه السلام، وبعض الروايات نسب وضع الكتابة العربية إلى أفراد بأعيانهم، و (الروايات في هذا الباب تكثر وتختلف)[٢].

ولم تكن هذه الروايات لدى الدارسين المحدثين كافية لبيان أصول الكتابة العربية في مراحلها الأولى[٣]، ومِن ثَمَّ اتجهوا في دراسة هذا الموضوع إلى النقوش والوثائق الباقية من الكتابات القديمة، ومنها الكتابة العربية، وتمكنوا من رسم معالم تاريخ الكتابات البشرية، وتطورها حتى انتهت إلى الكتابة الأبجدية.

وترتبط الكتابة العربية بمجموعة الخطوط التي كانت سائدة حول الجزيرة

---

(١) ينظر: جواد علي: المفصل ٨/١٥٦.

(٢) ابن فارس: الصاحبي ص١٠، وينظر: جواد علي: المفصل ٨/١٢١ ـ ١٢٤.

(٣) سبق لي عرض تلك الروايات ومناقشتها في كتابيَّ: رسم المصحف ص٢٢ ـ ٢٨، وعلم الكتابة العربية ص٣٥ ـ ٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

العربية، في شبه جزيرة سيناء، وبلاد الشام، وأطراف العراق الغربية، والتي يُطْلِقُ عليها عدد من الدارسين اسم الخطوط السامية، أخذاً من تسمية اللغات التي كانت سائدة في هذه المنطقة باللغات السامية وهي تسمية لا يرتضيها دارسون آخرون لأنها ذات أبعاد دينية أو سياسية، ويُفَضِّلُ بعض هؤلاء الدارسين تسميتها باللغات الجَزَرِيَّةِ، نسبة إلى شبه الجزيرة العربية وما حولها(١).

وتعددت وجهات نظر الدارسين في أصل تلك الكتابات، لكن بعض النظريات يشير إلى أن شبه جزيرة سيناء شهدت التطور الذي أدَّى إلى ظهور الكتابة الأبجدية، وأنها انتشرت في المنطقة بعد أن استعملها الكنعانيون، وأحفادهم الفينيقيون، منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وورث الآراميون ذلك الخط وطوَّروه بعد أن بسطوا نفوذهم على بلاد الشام(٢).

وتكاد كلمة الدارسين المحدثين تُجْمِعُ على أن خطنا العربي الشمالي مشتق من الخط النبطي، وهو أحد الخطوط المنحدرة من الخط الآرامي(٣).

والأنباط كما تدل أسماء أعلامهم عرب من حيث الأصلْ، ولكنهم تأثروا بالحضارة الآرامية التي كانت سائدة في بلاد الشام، وأخذوا كتابتهم عن الآراميين، وكان استعمال الأنباط للكتابة الآرامية بداية لنشوء الخط العربي الشمالي، فانحدر من عاصمة مملكتهم البتراء جنوباً إلى شمال الجزيرة العربية، واتجه شرقاً إلى القرى العربية في غربيِّ الفرات في القرون الأولى من الميلاد(٤).

إن هذه الخلاصة عن تاريخ الخط العربي وارتباطه بالخط النبطي ومجموعة

---

(١) ينظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص١١، وطه باقر: من تراثنا اللغوي القديم ص١٧.

(٢) ينظر: موسكاتي: الحضارات السامية القديمة ص١٢٠ ـ ١٢١، وديرينجر: الكتابة ص١٢٤ ـ ١٢٧.

(٣) ينظر: جواد علي: المفصل ٨/١٣٤.

(٤) ينظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص٣٧، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص١٢٢ ـ ١٢٣، وديرينجر: الكتابة ص١٣٣، وعلم الكتابة العربية ص٤٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخطوط الآرامية قد انبنت على دراسات متعددة وتحليل لكثير من نقوش تلك الكتابات، وليس من اللازم الدخول في تفاصيل تلك الدراسات، لكن من المفيد الإشارة إلى أن انحدار الخط العربي من الخط الآرامي قد ترك آثاره على عدد من الجوانب المتعلقة بذلك الخط، مثل أسماء الحروف، وطريقة ترتيبها، وخصائص رسمها، وهو ما يهمنا الحديث عنه في هذه الأجوبة وتسليط الضوء عليه.

المطلب الثاني: أسماء حروف الهجاء

الاسم: هو اللفظ الموضوع على الشيء لتمييزه عن غيره ويُجْمَعُ (اسم) على (أسماء) بوزن (أفعال)[١].

والحرف في الأصل الطَّرَفُ والجانِبُ، وبه سُمِّيَ الحرفُ من حروف الهجاءِ[٢]، والهجاءُ القراءةُ، والهجاءُ تقطيع اللفظة بحروفها، يقال تَهَجَّيْتُ الحروف هجاءً وتَهْجِيَةً[٣].

وكان علماء العربية الأوائل يُمَيِّزُونَ بين اسم الحرف ومُسَمَّاه، قالَ سيبويه: (قال الخليل يوماً وسأل أصاحبه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لَكَ، والكاف التي في مَالِك، والباء التي في ضَرَبَ ؟ فقيل له: نقول: باءْ، كافْ، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كَهْ وبَهْ، فقلنا: لِمَ أُلحقت الهاء، فقال: رأيتهم قالوا: عِهْ، فألحقوا هاءً حتى صيَّروها يستطاع الكلام بها، لأنه لا يلفظ بحرف)[٤]، يعني من غير حركة.

وانتبه بعض علماء العربية إلى خاصية مهمة في أسماء حروف العربية، وهي

---

(١) ينظر: لسان العرب ١٢١/١٩ (سما).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣٨٦/١٠ (حرف).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٢٨/٢٠ (هجا). وللحرف عند علماء التجويد تعريف صوتي وهو أن الحرف صوت معتمد على مقطع (أي مخرج) محقق أو مقدَّر (ينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص٧١، والمرعشي: جهد المقل ص١٢٣).

(٤) الكتاب ٣٢٠/٣، وينظر: الإستراباذي: شرح الشافية ٣١٢/٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أن كل حرف من حروف المعجم لفظه في أول حرف من اسمه، فإذا قلنا: ألف، باء، تاء، جيم، حاء، خاء... الخ فإن أول الاسم يتضمن دائماً صورة النطق به.

جاء ذلك في كلام أبي الفتح بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، وهو يناقش ما نُسِبَ إلى أبي العباس المبرد (ت ٢٨٢هـ) من أنه لا يَعُدُّ الهمزة ضمن حروف المعجم، لأنها لا صورة لها، قال ابن جني: (اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كُتِبَتِ الهمزة واواً مرة وياء أُخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تُكْتَبَ ألفاً على كل حال... وفيها دلالة أُخرى، وهي أن كل حرف سَمَّيْتَهُ ففي أول حروف تسميته لفظُهُ بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت: جيم، فأول حروف الحرف (جيم)، وإذا قلت: دال، فأولُ حروف الحرف دال، وإذا قلت: حاء، فأولُ ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت ألف، فأولُ الحروف التي نطقت بها همزة، فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً)[١].

وقال المالقي (ت ٧٠٢هـ): (والدليل على أن الألف هي الهمزة شيئان:

أحدهما: أنَّا إذا ابتدأنا بالهمزة على أي صورة تحركت من الضم أو الفتح أو الكسر كتبناها ألفاً، لا خلاف بين جميعهم في ذلك...

والثاني: أنا إذا نطقنا بحرف من حروف المعجم، فلا بد من النطق بأول حرف منه في أول لفظه نحو: باء وتاء وجيم وحاء، إلى آخر حروف المعجم، ولما كنا نقول: ألف، فتكون الألف في أوله علمنا أنه كسائر الحروف في ما ذكرنا)[٢].

وكشفت الدراسات الحديثة في تاريخ الكتابات أمرين:

الأول: أن أسماء الحروف في العربية منحدرة عن أسماء الحروف في الكتابات القديمة التي اشتق منها الحرف العربي.

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤٦ ـ ٤٧.

(٢) رصف المباني ص١٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والآخر: أن خاصية وجود لفظ الحرف في أول اسمه ظاهرة شائعة في مجموعة الكتابات التي ترتبط بها الكتابة العربية.

وترجع ظاهرة وجود لفظ الحرف في أول اسمه إلى مبدأ اعتمد عليه الأوائل في تسمية الحروف، وهو مبدأ الأكروفونية، والذي يتلخص في أن المخترع الأول للحروف الأبجدية أخذ من الكتابة التصويرية صورة لكل حرف من حروف اللغة، وجعل تلك الصورة رمزاً للصوت الأول من لفظها، وهذه النظرية تفترض أن اسم كل حرف من حروف الأبجدية كان يدل على معنى، لكن ذلك المعنى تنوسي، وصار الاسم يدل على الحرف الأول من ذلك اللفظ[١].

وتتشابه أسماء الحروف في مجموعة الكتابات التي ترتبط بها الكتابة العربية، مما يشير إلى احتمال أن تكون هذه التسميات ترجع إلى أصل واحد، وحدث تطور في تلك الأسماء بحذف مقطع منها أو تغيير بعض الحروف فيها[٢].

وهذه أسماء حروف الهجاء في العربية: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، ذال، راء، زاي، سين، شين، صاد، ضاد، طاء، ظاء، عين، غين، فاء، قاف، كاف، لام، ميم، نون، هاء، واو، ياء.

ويَتَكَوَّنُ الأصل الذي انحدرت منه الكتابات الأبجدية من اثنين وعشرين حرفاً[٣]، وتمكَّن الكُتَّاب العرب الأوائل من إلحاق الأحرف الستة الموجودة في العربية، ولا تتضمنها الأبجدية القديمة، وهي الذال والثاء والظاء، والضاد والخاء والغين، فصارت الكتابة العربية تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً، ويبدو أنهم اشتقوا لها أسماء وصوراً من الحروف الاثنين والعشرين المشابهة لها في الرسم، فالذال نظير الدال، والثاء نظير التاء، الظاء نظير الطاء، والضاد نظير الصاد، والخاء نظير

(١) ينظر: محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري ص٣ ـ ٤، وجواد علي: المفصل ٨/١١٦ ـ ١١٧، ورسم المصحف ص٣٥.

(٢) ينظر: تفصيل ذلك: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٢٢١ ـ ٢٧٠.

(٣) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٢٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحاء، والغين نظير العين[١].

وجَرَى علماء العربية على القول إن حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً، كما قال سيبويه: (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً: الهمزة والألف والهاء...)[٢]، وقال ابن جني: (اعلم أن أصل حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم، إلا أبا العباس [يعني المبرد] فإنه كان يعدها ثمانية وعشرين حرفاً، ويجعل أولها الباء، ويدع الألف من أولها، ويقول هي همزة، ولا تثبت على صورة واحدة...)[٣].

ويبدو أن المبرد لم يُسْقِطِ الهمزة من عدد حروف العربية، فقد ذكرها ضمن المخرج الأول من أقصى الحلق، لكنه قال وهو يتحدث عن عدد الحروف (منها ثمانية وعشرون لها صور)[٤]، والهمزة هي الحرف الوحيد الذي ليس له صورة كتابية خاصة به من بين الحروف.

وهناك تداخل بين مصطلح الألف والهمزة، لكن الأول هو الاسم القديم للهمزة، وهو الذي يحتل أول الحروف عند ذكرها مرتبة، فنقول: ألف باء تاء... الخ، وظهر مصطلح الهمزة في وقت متأخر عن ظهور مصطلح الألف، وصار الألف يدل على المدة في مثل (كان) ونحوها، واختصت الهمزة بالحرف الذي في أول الأبجدية. وسوف نزيد هذا الأمر إيضاحاً في المبحث الخاص بالهمزة وعلاقتها بحروف المد، إن شاء الله تعالى.

وكان علماء العربية يُقَسِّمُون أسماء الحروف على قسمين:

القسم الأول: ما هو مؤلف من حرفين، وهي: با، تا، ثا، حا، خا، را، طا، ظا، فا، ها، يا.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٢٩٦، وديرينجر: الكتابة ص١٣٦.

(٢) الكتاب ٤/٤٣١.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

(٤) المقتضب ١/١٩٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والقسم الثاني: الثلاثي، وهو ما كان أوسطه حرفَ مَدٍّ وبعده حرف، سوى (ألف) في أول الحروف، وسوى (زاي) فمنهم من يَعُدُّه مع الثلاثي، ومنهم من يقول (زَيْ) فيعده من الثنائي. والثلاثي ثلاثة أنواع بحسب نوع حرف المد:

أحدهما: ما أوسطه ألف، وهو تسعة أحرف: دال، ذال، صاد، ضاد، قاف، كاف، لام، واو، زاي، بخلاف.

الثاني: ما أوسطه ياء قبلها كسرة، وهو أربعة أحرف: جيم، سين، شين، ميم، ويلحق بها: عَيْن وغَيْن، وياؤها حرف لين.

الثالث: ما أوسطه واو قبلها ضمه، وهو: نون[1].

والغالب اليوم نطق القسم الأول من الثنائي بالمد، فيقال: باء، تاء، ثاء،... الخ. لكن علماء السلف من علماء القراءة والعربية يقولون إنها تُنْطَقُ مقصورة، أي بدون همزة، إلا إذا سَمَّيْتَ بها، وكذلك تُنْطَقُ بقية حروف المعجم ساكنة الأواخر، فتقول: قافْ، قاف، جيمْ... الخ، فإن سَمَّيْتَ بها مَدَدْتَها وأعربتها، فقلت هذه باءٌ حسنةٌ، ورسَمْتُ قافاً صحيحةً، وأوَّلُ التاء تاءٌ، وأوسطُ الدال ألفٌ، وآخر الصاد دالٌ[2].

وقال أبو العلاء العطار: (وأجمع القراء على قصر هذه الحروف، لأنها في التنزيل بحالها، ولم تنقل إلى الاسمية)[3].

فإذا قرأت: ﴿الٓر﴾ قلت: ألِفْ لاَمْ رَا، وإذا قرأت ﴿حمٓ﴾ قلت: حَا مِيمْ، وإذا قرأت: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قلت: كافْ هَا يَا عَيْنْ صادْ، بالقصر من غير همزة، وإذا قلت راء، حاء، هاء، ياء، فإنك تكون قد خرجت عن سنن القراءة الصحيحة.

وإذا سمَّيْتَ بهذه الحروف صَلَحَ أن تجعلها مُؤَنَّثَةً، وجاز أنْ تَعُدَّها مُذَكَّرَةً، قال

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥، وأبو العلاء العطار: التمهيد ص٣٠٤ ـ ٣٠٥.
(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب ٣/٢٦٤ ـ ٢٦٥، والمبرد: المقتضب ٤/٤٠.
(٣) التمهيد ص٣٠٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سيبويه: (فالعرب تختلف فيها، يؤنثها بعضٌ ويذكِّرُها بعض)[١]. وقال المبرد: (إذا جعلت الميم وما أشبهها اسماً لحرف، قلت: هذا ميم حَسَنٌ، وهذا باء حَسَنٌ يا فتى. وإن جعلتها مؤنثة صَلَحَ ذلك، فقلت: هذه ميم، وهذه باء)[٢].

وتُسَمَّى هذه الحروف أيضاً حروف المُعْجَم، وبَيَّنَّا في أول المطلب دلالة الحرف، أما كلمة (المعجم) فهي (مُفْعَلٌ) من أعجم، ومعنى أعجمتُ الحرف هو النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان، وكلمة (المُعْجَم) تحتمل أن تكون اسم مفعول من أعجم، وتحتمل أن تكون مصدراً ميمياً منه، وهو ما ذهب إليه المبرد، ورجحَّه ابن جني الذي قال: (والصواب في ذلك عندنا ما ذهب إليه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ـ رحمه الله ـ من أن المعجم مصدر بمعنى الإعجام... فصار قولنا حروف المعجم من باب إضافة المفعول إلى المصدر، كقولهم هذه مطيةُ رُكوبٍ، أي من شأنها أن تُرْكَبَ، وهذا سَهْمُ نِضال، أي من شأنه أن يُنَاضَل به، وكذلك حروف المعجم، أي من شأنها أن تُعْجَمَ، فاعرف ذلك)[٣].

وإذا كان الإعجام هو تنقيط الحروف بالسواد فإن إطلاق حروف المعجم يَصْدُقُ على ما هو معجم منها فقط، فكيف أطلق على جميعها حروف المعجم !

أجاب عن ذلك ابن جني فقال: (فإن قيل جميع هذه الحروف ليس معجماً، إنما المعجم بعضها، ألا ترى أن الألف والحاء والدال ونحوها ليس معجماً، فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجم ؟

قيل: إنما سُمِّيَتْ بذلك لأن الشكل الواحد إذا اختلفتْ أصواته فأعجمتَ بعضها وتركتَ بعضها فقد عُلِمَ أن هذا المتروك بغير إعجام، هو غير ذلك الذي من عادته أن يُعْجَمَ، فقد ارتفع إذن بما فعلوه الإشكال والاستبهام عنها جميعاً، ولا فرق بين أن

---

(١) الكتاب ٢/٢٥٩.

(٢) المقتضب ٤/٤٠.

(٣) سر صناعة الإعراب ١/٣٩ ـ ٤٠، ولسان العرب ١٥/٢٨٠ ـ ٢٨٢ (عجم).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يزول الاستبهام عن الحرف بإعجام عليه، أو بما يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل، والخاء بواحدة من فوق، وتركت الحاء غُفْلاً، فقد عُلِمَ بإغفالها أنها ليست واحدة من الحرفين الآخرين، أعني الجيم والخاء، وكذلك الدال والذال، والصاد والضاد، وسائر الحروف نحوها، فلما استمر البيان في جميعها جازت تسميتها بحروف المعجم)[١].

المطلب الثالث: ترتيب الحروف

صار ترتيب حروف الأبجدية وسيلة في تعليم اللغات وفي تنظيم كثير من النشاطات أو الخدمات، بعد أن تعارف أهل كل لغة على طريقة معينة لترتيب حروف لغتهم، وجعل طاش كبري زاده (علم ترتيب حروف التهجي) أحد علوم الصناعة الخطية.

وعَرَفتِ اللغة العربية ترتيب حروفها منذ أقدم العصور، فضلاً عن أنها عرفت أكثر من طريقة لذلك الترتيب، وصارت كل طريقة تُسْتَعْمَلُ في مجالات معينة. ويمكن تمييز ثلاثة مذاهب لترتيب الحروف، هي: الترتيب القديم (قبل الإسلام)، والترتيب الحديث (الإسلامي)، والترتيب الصوتي. وسوف أُحاول بيان أُصول كل ترتيب وخصائصه.

(١) الترتيب القديم (الأبجدي)

عَرَف التراث العربي القديم السابق للعصر الإسلامي مجموعة كلمات هي في الواقع كلمات جُمِعَتْ فيها حروف الأبجدية مرتبة، وهذه الكلمات هي: (أبجد، هوَّز، حِطِّي، كَلَمُن، سَعْفَص، قَرَشَت).

وجاء بعض هذه الكلمات مُغَيَّراً، كما جاء في بعض الروايات أنها لأشخاص كان لهم دور في وضع الكتابة العربية، أو أنهم كانوا ملوكاً في زمن الجاهلية[٢]،

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤٤ ـ ٤٥.

(٢) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص٧، والسيوطي: المزهر ٢/٣٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لكن بعض العلماء أدرك أن هذه الكلمات تجمع حروف الهجاء، وأنها تساعد في تعليم الحروف والكتابة.

وكان سيبويه قد ذكر هذا الكلمات، وذكر أنها تجري مجرى زيدٍ وعمرو في الانصراف، فقال: (وأبو جاد وهَوَّازٌ وحُطِّيٌّ، كعمرو في جميع ما ذكرنا، وحال هذه الأسماء حالُ عمرو، وهي أسماء عربية، وأما كَلَمُنْ وسَعْفَصُ وقُرَيْشِيَات فإنهن أعجمية لا ينصرفن، ولكنهن يقعن مواقع عمرو في ما ذكرنا، إلا أن قُرَيْشِيَاتٍ بمنزلة عرفاتٍ وأذرعات)[١].

وذكر الداني أن قطرباً، وهو تلميذ سيبويه، ذهب مذهباً آخر في هذه الكلمات، فقال: (وقال قطرب: إنما كتبوا (أبجد) بلا ألف ولا واو، لأن هذا إنما وضع في الكِتَاب لدلالة المتعلم على الحروف، فكرهوا أن يُطَوِّلُوا عليه، فلم يعيدوا المثال مرتين، فكتبوا (أبجد) بلا واوٍ ولا ألف، لأن معنى الألف في (أبجد)، والواو في (هوز) قد أُثبتت، فوَضَحَتْ صورتهما، وكلما مُثِّلَ الحرف مرَّة اسْتُغْنِيَ عن إعادته، وإنما أُثبتت ياء (حطي) مع ياء (قريسيات) لاختلاف الصورتين، يعني صورتها في الطرف، وصورتها في غيره)[٢].

ومع ما أصاب هذه الألفاظ من تغيير فإن علماء العربية كانوا مدركين لدورها في تعليم الكتابة، فقال الزجاجي: (واعلم أن هذه الحروف الثمانية والعشرين لها تسع عشرة صورة، حَسْبَ عدد الصور التي تثبتُ في (أبي جاد)، لأنه إمام الكُتَّاب)[٣].

ووصفها أبو عمرو الداني بأنها: (أصل حروف التهجي)[٤].

وأثبت الدراسات الحديثة في تاريخ الكتابات أن معظم الكتابات القديمة كانت تتبع ترتيباً مشابهاً لترتيب الحروف في (أبجد، هوز...)، مع بعض التغيرات أحياناً،

(١) الكتاب ٣/٢٩.
(٢) المحكم ص٣٤.
(٣) الجمل ص٢٧٣.
(٤) المحكم ص٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويبدو أن العرب قد عَرَفوا هذا الترتيب عن طريق الأنباط الذين أخذ عنهم العرب الخط في القول الراجح[١].

ولمَّا كان عدد حروف الأبجدية الآرامية اثنين وعشرين حرفاً، وهي التي تضمنتها كلمات (أبجد، هوَّز...)، فإن ستة أحرف اختصت بها العربية لم تكن مدرجة في هذه الكلمات، فألحقها الكتَّاب العرب الأوائل بالكلمات الست المذكورة على هذا الترتيب (ثَخَذٌ ضَظَغٌ)، وسَمَّوْها الروادف[٢]، وهي تسمية تشير إلى هذه الحقيقة التاريخية، وهي أنها مزيدة على الأصل القديم[٣].

ولا تزال ألفاظ هذا الترتيب شائعة في زماننا، وتستعمل في أغراض متعددة، سوف أشير إلى أهمها في آخر هذا المبحث، إن شاء الله، مع أن بعض السلف كره تعلمهما، قال القلقشندي: (على أنه اختلف في كلمات (أبجد) هل لها معنى أم لا، وهل يكره تعلمها أم لا، وأكثر الناس في الشرق والغرب على تعلمها، وقد جاء أنها كانت تُعَلَّمُ في زمن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ ويشهد لذلك قول الأعرابي في أبيات...)[٤].

وفي ذلك قصة نقلها أبو الوفا نصر الهوريني، قال: (ويذكر أن عمر بن الخطاب لقي أعرابياً، فقال له: هل تحسن أن تقرأ القرآن ؟ فقال: نعم، قال: فاقرأ أم القرآن، فقال: والله ما أحسن البنات فكيف الأم، فضربه، ثم أسلمه إلى الكتاب فمكث فيه حيناً، ثم هرب، وأنشأ يقول:

أتيتُ مهاجرينَ فَعَلّمُونَي ثلاثةَ أسطرٍ متتابعاتِ
كتابُ الله في رَقٍّ صحيحٌ وآياتُ القُرَانِ مُفَصَّلاتِ

(١) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص٣٠٢، وجواد علي: المفصل ٨/١١٧و١٣٩.
(٢) ينظر: الصولي: أدب الكتاب ص ٢٩. ابن النديم: الفهرست ص ٨، والقلقشندي: صبح الأعشى ٣/١٢.
(٣) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص٣٠٢، وجواد علي ٨/١٢٨و١٣٩.
(٤) صبح الأعشى ٣/٢٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فَخَطُّوا لي أبا جادٍ وقالوا تَعَلَّمْ صعفضاً وقُرَيْساتِ
وما أنا والكتابة والتهجي وما خط البنين من البناتِ)[١]

(٢) الترتيب الحديث (الألفبائي)

وأعني به الترتيب الحادث بعد ظهور الدين الإسلامي وهو ترتيب (أ ب ت ث)، إن نزول القرآن الكريم بالعربية، وتدوينه بالخط العربي، وما ترتب على ذلك من نشاط في تعلم الكتابة والعلوم، قد نقل الكتابة العربية إلى مرحلة جديدة من الاستعمال الواسع، وأتاح لها فرصة التحسين في الخطوط، وتوحيد القواعد، وإعادة النظر في ترتيب الحروف.

وليس لدينا معلومات عن تاريخ محدد لظهور هذا الترتيب الجديد، ولا مَن قام به، ولا الأسباب المباشرة التي أدت إليه، ولكن يبدو أن ارتباط الترتيب القديم بتراث ما قبل الإسلام، والنظر إلى الكلمات التي تجمع الحروف في هذا الترتيب أنهن أعجميات وعليها يقع تعليم الخط السرياني[٢]، قد مهَّد لظهور الترتيب الجديد[٣].

وقد يكون ظهور هذا الترتيب مرتبطاً بإعجام الحروف، فبعد أن اخترع أبو الأسود الدؤلي (المتوفى سنة ٦٩هـ) نَقْطَ الإعراب، فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف، والضمة نقطة بين يدي الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، وجعل التنوين نقطتين، بلون غير لون مداد الكتابة[٤]، بقيت الحاجة قائمة إلى تمييز الحروف المتشابهة في الصورة، لوقوع الناس في التصحيف، فقام بعض تلامذة أبي الأسود الدؤلي بتمييز الحروف المتشابهة في الصورة بوضع نقاط الإعجام على بعضها وترك البعض الآخر من غير نقاط، وتشير الروايات إلى أن ذلك تم في العراق في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي التي بدأت سنة ٧٥هـ ويبدو أن ذلك تحقق قبل

(١) المطالع النصرية ص٢٢٠.
(٢) ينظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على التصحيف ص١٦.
(٣) ينظر: نصر الهوريني: المطالع النصرية ص٢٢٠.
(٤) ينظر: الداني: المحكم ص٤ و٦ ـ ٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

انتهاء خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٦هـ، ويقال إن نصر بن عاصم الليثي هو الذي قام بذلك[١].

ونصر بن عاصم الليثي من التابعين وَصَفَه الذهبي بالنحوي المقرئ، وهو من تلامذة أبي الأسود الدؤلي، وكانت له مشاركة في نَقْطِ المصاحف وتخميسها وتعشيرها، وله دور في وضع علم العربية، وتوفي سنة ٩٠هـ (على خلاف)[٢].

وذُكِرَ أن الجاحظ قال: إن نصر بن عاصم أول من نقَّط المصاحف، و كان يقال له نصر الحروف[٣].

وهذا اللقب يعبر عن دورٍ لنصر يتعلق بحروف الكتابة العربية لعله يتجاوز تنقيط الحروف المتشابهة إلى إعادة ترتيبها بعد تنقيطها بنقط الإعجام، لأن هذا العمل أَبْرَزَ ما بين الحروف من وشائج، فبعد أن كانت الروادف الستة، وهي (ثخذ ضظغ) تُذْكَرُ في آخر الحروف أُعيد توزيعها لتكون بجوار نظيراتها من الحروف، وكذلك تُضَمُّ النظائر إلى بعضها حتى استوى هذا الترتيب الجديد للحروف[٤].

والمتأمل في الترتيب الحديث يجد أنه يمت إلى الترتيب القديم بصلة، فالأحرف الأربعة الأولى: (أ ب ج د)، بقيت في مواضعها في الترتيب الحديث، و تخللت بينها مشابهاتها، فصارت: (أ ب ت ث، ج ح خ، د ذ)، وكان الداني قد أدرك هذه الصلة، وصرَّح بأن حروف (أبي جاد): (هي أصل حروف التهجي)[٥]، وفَسَّرَ بناء على ذلك ترتيب الحروف الجديد، وتقدَّم بعض الحروف وتأخر البعض عن مواقعها التي كانت فيه في ترتيب (أبي جاد) كما كان يسميه بعض العلماء

---

(١) ينظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص٢٧، والعسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص١٣، والصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص١٣ ـ ١٤.

(٢) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١/١٧٠، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/٣٣٦.

(٣) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز ١/٥٠، والزركشي: البرهان ١/٢٥١.

(٤) ينظر: الأشقر: الفهرسة الهجائية ص٦٠ ـ ٦١.

(٥) المحكم ص٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المتقدمين. فقال في وضع الراء والزاي بعد الحروف الثمانية السابقة: (ثم وليتهما الراء والزاي، وهما على صورة واحدة لقرب صورتهما من صورتهما [يعني الدال والذال]، وتقدمت الراء وإن كانت الزاي متقدّمة على الراء في حروف (أبي جاد) موافقة للحاء والخاء، والدال والذال، من جهة الإعجام، إذ كانت الحاءُ المتقدمة على الخاء، والدالُ المتقدمة على الذال غير منقوطتين، فكذلك الراء المتقدمة على الزاي مثلهما سواء، ليأتي المزدوج كله على طريقة واحدة، ولا يختلف)[١].

وبعد الزاي يفترق ترتيب الحروف بين أهل المشرق وأهل المغرب، فهم قد اتفقوا على ترتيب عشرة أحرف هي: (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز) ثم افترقوا بعد ذلك، فأهل المشرق ألحقوا المزدوج في الرسم من الحروف، ثم المفرد على ترتيب أبي جاد، وأهل المغرب راعوا ترتيب الحروف في أبي جاد بغض النظر عن كونها مزدوجة أو مفردة[٢].

وذكر أبو العباس القلقشندي (ت ٨٢١هـ) أن أهل المشرق والمغرب مختلفين حتى في ترتيب أبي جاد، فذكر الترتيبين: القديم وسماه المزدوج، والحديث وسمَّاه المفرد، يعني أن الأول جُمِعَتْ حروفه في كلمات، وأن الثاني لم تجمع، فقال: (واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج، وبين أهل الشرق وأهل الغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب.

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي.

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي.

وأما المزدوج فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

---

(١) المحكم ص٢٩ ـ ٣٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٣٠ ـ ٣٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأهل الغرب يرتبونه هذا الترتيب: أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرست[١] ثخذ ظغش)[٢].

والترتيب المزدوج بنوعيه كان معروفاً في المشرق، فنجد الصولي (ت ٣٣٦هـ) ينقل رواية تتضمن كلمات الترتيب على هذا النحو: أبجد، هوَّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثم ذكر الروادف على هذا الترتيب: ثخذ ظضغ[٣]. بينما ذكرها ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) على نحو يقرب من ترتيب أهل المغرب، وهو: أبو جاد، هواز، حطي، كلمون، صعفض، قريسات، ثم ذكر الحروف الثمانية على هذا الترتيب: ثخذ ظشغ[٤].

والترتيب القديم الشائع عند أهل المشرق اليوم هو ما ذكره القلقشندي ونسبه إلى أهل الشرق.

أما الترتيب الحديث فهو موضع اتفاق عند أهل المشرق، سوى الحروف الأربعة الأخيرة منه، أعني (هـ و لا ي) ففي بعض المصادر (و هـ لا ي) وفي بعضها (و هـ ي)، وفي بعضها (هـ و ي)، وهو ما استقر عليه الأمر في الوقت الحاضر.

ولعل من المفيد للقارئ الوقوف عند ثلاثة أمور تتعلق بالترتيب الحديث للحروف، وهي:

الأمر الأول: إثبات (لا) في آخر الترتيب، وتُقْرَأ: لام ألف، والمقصود هو إثبات الألف في مجموعة الحروف، لأن (ألف) في أول الحروف للهمزة، ويبدو أن هذا الأمر حاصل بعد تنقيط الحروف و إعادة ترتيبها على النسق الجديد، وإثباتها في عصرنا متروك، لكن لا بأس من معرفة ما قاله العلماء السابقون حولها.

---

(١) في الأصل (سعفص قرشت)، وهو تحريف، كما يدل ما ورد في المحكم للداني (ص٣٢) وغيره من المصادر.

(٢) صبح الأعشى ٣/٢٣ ـ ٢٤.

(٣) أدب الكتَّاب ص٢٩.

(٤) الفهرست ص٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وورد ذكر اللام ألف في رواية نقلها الداني عن الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ، وورد في آخرها: (ولام ألف حرفان قُرِنا، فليس واحد منهما يُنْقَطُ)[١].

وعلل ابن جني ضم اللام إلى الألف، وأمر بأن تنطق (لا)، وليس (لام ألف)، وذلك حيث قال: (واعلم أن واضع حروف الهجاء لمَّا لم يمكنه أن ينطق بالألف التي هي مَدَّةٌ ساكنة، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به، دَعَمها باللام قبلها متحركة، ليمكن الابتداء بها، فقال: هـ، و، لا، ي، فقوله (لا) بزنة (ما) و (يا)، ولا تقل كما يقول المعلمون: لام ألف، وذلك أن واضع الخط لم يُرِدْ أن يرينا كيف أحوال هذه الحروف إذا تركَّب بعضها مع بعض... وإنما مراده ما ذكرتُ لك، من أنه لمَّا لم يمكنه الابتداء بالمدة الساكنة ابتدأ باللام، ثم جاء بالألف بعدها ساكنة، ليصح لك النطق بها كما صح لك النطق بسائر الحروف غيرها، وهذا واضح)[٢].

ولعل إدراج هذا الحرف في آخر ترتيب الحروف الغرض منه تعليمي، كما يفهم من كلام ابن جني، أما اعتماده في عمل الفهارس وبناء المعاجم فيبدو أنه غير معتبر لأن الألف اللينة لا تقع أولاً، ولا تقع أصلاً، ولأن اللام ورد ذكرها في موضعها من ترتيب الحروف، ومن ثم فإن الترتيب الشائع اليوم يُسْقِطُ (لا) من الترتيب والاعتبار[٣].

الأمر الثاني: هو اختلاف الروايات في ترتيب الحروف الثلاثة في آخر الترتيب، أعني (هـ و ي)، ففي بعض الروايات والمصادر القديمة جاء ترتيبها (و هـ ي). ولعل تقديم الواو على الهاء في المصادر القديمة أكثر شهرة من تقديم الهاء، على نحو ما جاءت في الرواية التي نقلها الداني عن الخليل بن أحمد، فذكر الواو ثم الهاء، ثم اللام ألف، ثم الياء[٤].

---

(١) المحكم ص٣٦.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٤٨ ـ ٤٩.

(٣) ينظر: الأشقر: الفهرسة الهجائية ص٦٥.

(٤) المحكم ص٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني المتوفى قبل سنة ٢٢٠هـ، قدَّم الواو على الهاء، ثم أتبعها بالياء[١].

وقَدَّم البندنجي (ت ٣٨٤هـ) في كتاب (التقفية في اللغة) الهاء على الواو والياء[٢].

وجرى كثير من المعاجم وكتب التراجم على تقديم الهاء على الواو والياء، لكن بعضها اعتمد تقديم الواو على الهاء والياء، وتَتَبُّعُ ذلك مما يطول به الكلام، بما يخرج عن خطة هذه الأجوبة، لكن اللافت للنظر أن الترتيب الذي استقر عليه العمل، وأخذ الصفة الرسمية في زماننا هو تقديم الهاء على الواو والياء في ترتيب الحروف.

الأمر الثالث: تاريخ انتشار الترتيب الجديد للحروف: ليس لدينا روايات تبين متى ظهر هذا الترتيب، لكن ذلك يرتبط كما رجحنا من قبل بإعجام الحروف الذي قام نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٩٠هـ، أو بعد ذلك، ونفترض أن هذا الترتيب شاع في القرن الثاني الهجري، وما بعده، وإن لم يختف الترتيب القديم من الاستعمال.

ومن أقدم ما اطلعت عليه من النصوص التي تؤكد شيوع هذا الترتيب ما ورد في مقدمة كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ، أو قريباً من ذلك، وهو قوله: (هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري ـ رحمة الله عليه ـ من حروف أ، ب، ت، ث... فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول أ، ب، ت، ث، وهو الألف... وقَلَبَ[٣] الخليل أ، ب، ت، ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق)[٤].

---

(١) كتاب الجيم ٢٩٠/٣ (باب الواو)، ٣١٦/٣ (باب الهاء)، ٣٢٦/٣ (باب الياء).

(٢) التقفية ص٦٦٣ (باب الهاء)، ص ٦٧٣ (باب الواو)، ص ٦٨٧ (باب الياء).

(٣) في الأصل (قَلَّبَ)، ويبدو لي أن القراءة الصحيحة للفعل بدون تشديد اللام.

(٤) العين ٤٧/١ ـ ٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا يحملنك ما يقال من التشكيك في صحة نسبة العين إلى الخليل على استبعاد معرفته بهذا الترتيب، فالراجح عند الدارسين أن مقدمة العين هي من وضع الخليل إن لم يكن الكتاب كله من وضعه، ثم إن الداني نقل رواية عن الخليل تحكي كيفية إعجام الحروف، وجاء فيها ترتيب الحروف هكذا: أ، ب، ت، ث، ج، ... الخ[١]، ثم إن أبا عمرو الشيباني الذي كان قريباً من عصر الخليل عرف هذا الترتيب واعتمد عليه في ترتيب كتاب (الجيم).

والخلاصة أن الترتيب الجديد للحروف كان معروفاً في القرن الثاني الهجري، وقد استند إليه العلماء بعد ذلك في بناء المعاجم أو ترتيب التراجم أو غيرها من الأعمال العلمية التي تحتاج إلى تنظيم.

(٣) الترتيب الصوتي

هذا الترتيب قديم في التراث اللغوي العربي، لكنه غير مشهور شهرة الترتيبين السابقين، ولا يهتم به إلا المشتغلون بعلوم اللغة، ودارسو الأصوات اللغوية خاصة، ويستند هذا الترتيب على أساس واضح محدد، وهو ترتيب الحروف بحسب مواضع نطقها في آلة النطق.

وأقدم مصدر ورد فيه هذا الترتيب هو معجم العين للخليل بن أحمد الذي اتخذ من هذا الترتيب أساساً لترتيب الكلمات فيه، وجاء في مقدمة العين: (وقَلَبَ الخليل أ، ب، ت، ث، فوضعها على قدر مخرجها، وهذا تأليفه: ع، ح، هـ، خ، غ ـ ق، ك ـ ج، ش، ض ـ ص، س، ز ـ ط، د، ت ـ ظ، ث، ذ ـ ر، ل، ن ـ ف، ب، م ـ و، ا، ي ـ همزة)[٢].

ورَتَّبَ سيبويه الحروف في الكتاب ترتيباً صوتياً أيضاً، خالف فيه الخليل في موضع عدد من الحروف، قال سيبويه: (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً:

---

(١) ينظر: المحكم ص٣٥ ـ ٣٦.

(٢) العين ١/٤٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، و الفاء، والباء، والميم، والواو)[١].

وتابع أبو الفتح ابن جني سيبويه في ترتيب الحروف، سوى أنه جعل الضاد بعد الياء، ورجَّح مذهب سيبويه على مذهب الخليل[٢]، ولسنا بصدد المفاضلة بين المذهبين، ومناقشة الراجح منهما، فإن ذلك مكانه البحوث المتخصصة بدراسة الأصوات اللغوية.

واتبع دارسو الأصوات اللغوية من المحدثين طريقة معاكسة في ترتيب الحروف ترتيباً صوتياً، فهم يبدؤون من الشفتين وينتهون بأقصى الحلق أو الحنجرة، لكن هذا الاختلاف شكلي، لأن (كل مقدار له نهايتان أيَّتهما فرضت أوله كان مقابلها آخِرَهُ، ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب لزم منه أن يكون رأسه أوَّلَه، ورجلاه آخره، فإن كان كذلك كان أول المخارج الشفتين... ولمَّا كان مادة الصوت الهواء الخارج من داخل، كان أوله آخر الحلق، وآخره أول الشفتين)[٣].

ويستند بدء الحروف في الترتيب الصوتي على طريقة ترتيب المخارج، فإذا أخذنا بمذهب المتقدمين كان أول الحروف: ء هـ ع ح غ خ، وكان آخرها ب م و، وإذ أخذنا بمذهب المحدثين كان أول الحروف: ب م و، وكان آخرها خ غ ح ع هـ ء.

وهناك انطباع سائد أن المتقدمين جميعاً ساروا على ترتيب واحد للحروف بحسب المخارج، وهو البدء بحروف أقصى الحلق، لكني وجدت محمداً المرعشي (ت ١١٥٠هـ) يقول في كتابه (بيان جهد المقل): (إن في ترتيب المخارج اعتبارين:

---

(١) الكتاب ٤/٤٣١.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٥٠ ـ ٥١.

(٣) ابن الناظم: الحواشي المفهمة ص٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أحدهما: وهو الذي أخذه الجمهور، و اختير في هذه الرسالة، أن يكون أول المخارج أقصى الحلق، وآخرها خارج الشفتين.

والآخر: أن يكون أول المخارج خارج الشفتين وآخرها أقصى الحلق، وهو الذي اختاره بعض العلماء، هكذا قاله البعض)[١].

ومضت سنين طويلة على اطلاعي على كلام المرعشي ـ رحمه الله ـ لكني لم أقف على مصدر من المصادر القديمة رُتِّبت فيها المخارج بدءاً من الشفتين، مع طول التأمل والنظر، ولم يحملني ذلك على الشك في ما ذكره المرعشي، وقد حقق الله تعالى صدق ما ذكره في الفترة الأخيرة بعد أن طُبِعَ في السنة الماضية كتاب (المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر) للمبارك بن الحسن الشهرزوري المتوفى سنة ٥٥٠هـ[٢].

ذكر الشهرزوري مخارج الحروف في باب الإدغام على مذهب سيبويه[٣]، وذكرها في باب التجويد على مذهب أبي عُمَرَ الجَرْمِيِّ (صالح بن إسحاق ت ٢٢٥)، وهو تلميذ سيبويه، وكان الداني قال: (وزعم الفرَّاء وقُطْرُبٌ والجَرْمِيُّ وابن كَيْسَان أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً، فجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد، وهو طرف اللسان، وجعلهن سيبويه من ثلاثة مخارج)[٤].

ولم يشر الداني إلى أن هؤلاء العلماء أو أحداً منهم رتَّب المخارج من الشفتين إلى الحلق، لكن الشهرزوري بيَّن أن الجرمي ذهب هذا المذهب، حيث قال: (واعلم أيدك الله بتوفيقه أن النحويين قد جنسوا حروف المعجم أجناساً لا يخاف معها التباساً... فإذا ثبت ذلك فاعلم أن حروف المعجم مهموسها ومجهورها... وغيرها

(١) بيان جهد المقل ص٤٥.

(٢) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٩٨٢/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٨/٢.

(٣) المصباح الزاهر ٤٣٣/١.

(٤) التحديد ص١٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ذلك من أجناسها على ما ذكره أبو عمر الجرمي ـ رحمه الله ـ أربعة عشر مخرجاً:

فمن الشفتين: مخرج: الواو والباء والميم...

ومن طرف اللسان: مخرج الراء واللام والنون المتحركة والساكنة الميتة...

ومن أقصى الحلق: مخرج الهمزة والهاء والألف.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة.

وذكر سيبويه أن لهذه الحروف ستة عشر مخرجاً، ولم يخالف هذا الترتيب)[1].

ولهذا النص الذي نقله الشهرزوري أهمية كبيرة من ناحيتين:

الأولى: الوقوف على كلام صريح لأحد علماء السلف يذهب فيه إلى أن مخارج الحروف أربعة عشر مخرجاً.

والثانية: ترتيب المخارج من الشفتين إلى الحلق، وهو أمر كان المحدثون يظنون أن دارسي الأصوات الغربيين هم الذين سبقوا إليه، واتضح الآن أن من علماء السلف من ذهب هذا المذهب، فرحمهم الله تعالى جميعاً، وجمعنا بهم في جنات النعيم.

المطلب الرابع: فائدة معرفة ترتيب الحروف:

لاشك في فائدة معرفة أسماء الحروف في تَعَلُّمِ الكتابة وتعليمها، فأسماء الحروف دلائل على رموزها المكتوبة، التي تمثل أصواتها المنطوقة المُؤَلِّفة للغة، ومهما اختلفت طرق تعليم اللغات في مراحل التعليم الأولى، فإن تلقين أسماء الحروف للمتعلمين، وتعليمهم طريقة رسمها وكيفية نطقها، من الأمور الأساسية في التعليم، ويحرص القائمون على تعليم اللغات على ذكر الحروف وفق ترتيب معين يساعد على تذكر الحروف ويسهل تعلمها، ويبدو أن ذلك تقليد قديم توارثته الأمم من عصور قديمة.

---

(١) المصباح الزاهر ٢/٢١١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولترتيب الحروف فوائد علمية وعملية تتجاوز تعليم الكتابة، ولكل نوع من أنواع الترتيب الثلاثة مجاله في الاستعمال، في زماننا وفي قديم الزمان، وهذه خلاصة تبين للقارئ أن لترتيب الحروف فوائد تستدعي الاستمرار في حفظ ترتيب الحروف، منها:

(١) الترتيب الأبجدي للحروف:

يستعمل نيابة عن الأعداد، فلكل حرف قيمة عددية محددة، تبدأ بالرقم (١) لحرف الألف وتنتهي بالرقم (١٠٠٠) لحرف الغين في آخر الترتيب، وهذه القيم العددية لحرف الأبجدية: (أ:١، ب:٢، ج:٣، د:٤) (هـ:٥، و:٦، ز:٧)، (ح:٨، ط:٩، ي:١٠)، (ك:٢٠، ل:٣٠، م:٤٠، ن:٥٠)، (س:٦٠، ع:٧٠، ف:٨٠، ص: ٩٠)، (ق:١٠٠، ر:٢٠٠، ش:٣٠٠، ت:٤٠٠)، (ث:٥٠٠، خ: ٦٠٠، ذ:٧٠٠)، (ض:٨٠٠، ظ:٩٠٠، غ:١٠٠٠)[١].

وتُسَمَّى هذه الطريقة في ذكر الأعداد بحساب الجُمَّل، قال ابن منظور: (وحِسابُ الجُمَّل، بتشديد الميم: الحروف المقطعة على أبجد، قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً، وقال بعضهم: هو حساب الجُمَلِ بالتخفيف، قال ابن سيده: ولست منه على ثقة)[٢].

ويمكن كتابة أي تاريخ أو عدد بهذه الطريقة، فنحن الآن في سنة ١٤٢٩ من الهجرة، ويمكن أن نكتب هذا التاريخ بحساب الجمل هكذا (ط ك ت غ) لأن ط:٩، و ك:٢٠، و ت:٤٠٠، و غ:١٠٠٠.

وشاع استعمال حساب الجمل في العصور المتأخرة في كتابة التواريخ وغيرها، وسوف أذكر لك، أخي القارئ، مثالين يُبَيِّنَانِ ذلك.

المثال الأول: ما ورد في خاتمة المقدمة الجزرية من نظم أبي الخير محمد بن

(١) ينظر: الداني: البيان في عد آي القرآن ص٣٣١و٣٣٣، والأشقر: الفهرسة الهجائية ص٥٨.
(٢) لسان العرب ١٣/١٣٥ (جمل).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

محمد بن محمد الجزري:

أبياتُها قافٌ وزايٌ في العَدَدْ مَن يتقنِ التجويدَ يَظْفَرْ بالرَّشَدْ

فقوله: (قاف وزاي) بيان لعدد أبياتها، فالقاف: ١٠٠، والزاي: ٧، فيكون عدد أبياتها (١٠٧) أبيات، وهذا البيت المذكور ليس من نظم ابن الجزري فهو زائد على أبياتها، ويقال إن ناظمه الشيخ محمد بن أحمد السلسيلي، ويبدو أنه عاش في القرن التاسع أو العاشر الهجري[١].

والمثال الثاني: ما ورد في آخر (تحفة الأطفال) في التجويد للشيخ سليمان بن حسين الجمزوري المتوفى بعد سنة ١١٩٨هـ[٢]، ونصه:

وتـــمَّ ذا الـــنظمُ بحمـــد اللهِ علـــى تمامِـــه بـــلا تنـــاهي
أبياتُـــه نِـــدٌّ بـــدا لـــذي النُّهَـــى تاريخُـــهُ بُـــشْرَى لمَـــنْ يتقنهـــا

قال الشيخ سليمان الجمزوري في شرح البيتين: (أي عدة أبيات هذا النظم واحد وستون بيتاً، من كامل الرجز، يجمعها بالجُمَّل الكبير (نِدٌّ بَدَا)، والنِّدُّ نبت طيب الرائحة، ومعنى بدا أي ظهر، وأما تاريخ هذه الأبيات أي تاريخ عام تأليفها فهو عام مئة وثمانية وتسعين [وألف] من الهجرة النبوية)[٣].

فعدد أبيات المنظومة واحدٌ وستون بيتاً، وهي مجموع القيمة العددية لحروف: (ند بدا) وذلك على النحو الأتي:

ن = ٥٠

د = ٤

ب = ٢

د = ٤

---

(١) ينظر: شرح المقدمة الجزرية ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) ينظر: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ٤/٢٥٧.

(٣) فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال ص٣٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أ = ١

المجموع = ٦١.

وتاريخ نظمها سنة ١١٩٨، وهي مجموع القيمة العددية لحروف: (بشرى لمن يتقنها)، وذلك على النحو الأتي:

ب = ٢، ش = ٣٠٠، ر = ٢٠٠، ي = ١٠، ل = ٣٠، م: ٤٠، ن = ٥٠، ي = ١٠، ت = ٤٠٠، ق = ١٠٠، ن = ٥٠، هـ = ٥، أ = ١.

ومجموع ذلك: ١١٩٨، وهو تاريخ نظم هذه الأبيات.

وإذا كانت هذه الطريقة في التاريخ قلَّت في زماننا فإن استعمال حروف (أبجد هوز) ما زال مستمراً في ترقيم مقدمات الكتب أو الرسائل العلمية، وهو نظام يمكن أن يستعمل في الترقيم في المجالات كافة إذا أُتقِنَ استعماله وبُيِّنت أُسسه[١].

(٢) الترتيب الألفبائي:

لترتيب الحروف على نسق معين متفق عليه فوائد كبرى في حياة الناس، تتجاوز ما يتحقق من ذلك في تعليم كتابة الحروف، لاسيما في المجتمعات المتحضرة، وأهم المجالات التي يُعْتَمَدُ فيها على ترتيب الحروف هو عمل الفهارس، وهو ترتيب الأسماء أو الكلمات بحسب الحروف التي تتألف منها، ويُعْتَمَدُ في عمل الفهارس الترتيب الحديث لحروف العربية، أعني الترتيب الألفبائي أو الهجائي.

ويمكن للفهرسة أن تعيننا في مجالات كثيرة، فالترتيب الألفبائي يستعمل في نواح حضارية كثيرة، منها: معاجم اللغة، ودوائر المعارف، وفهارس الكتب، ومنها أن أي قائمة تصدر بأسماء أشخاص، أو أسماء كتب أو أمكنة، أو آلات، أو غير ذلك، فيفضل في غالب الأحوال أن تكون مرتبة حسب حروفها، ليسهل على من يعنيه شأنها أن يعرف الموضع الذي يريده منها دون أن يحتاج إلى مراجعة الأسماء كلها[٢].

---

(١) ينظر: الأشقر: الفهرسة الهجائية ص ٩٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٢٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وتستطيع أن تلمس قيمة الفهرسة في تقليل الجهد واختصار الوقت إذا أردت معرفة موضع كلمة في القرآن، فإنك ستحتاج كثيراً من الوقت للنظر في صفحات المصحف الشريف إذا لم تستعن بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الذي لا يأخذ الكشف فيه عن أية كلمة من الوقت أكثر من فتحه وتقليب بضع صفحات فيه للوصول إلى موضع الكلمة. وقل مثل ذلك إذا أردت الوقوف على ترجمة عَلَمَ من الأعلام في كتب التراجم التي يضم الواحد منها آلاف الترجمات، إذا لم تكن تلك الكتب مرتبة على حروف المعجم، وأمثلة ذلك كثيرة جداً.

(٣) الترتيب الصوتي

وهو ترتيب الحروف على أساس مواضعها في المدرج الصوتي، والموضع الذي يخرج الصوت منه في آلة النطق يُسَمَّى بالمخرج، وجرى ترتيب الحروف على أساس المخارج منذ أمد بعيد، على نحو ما فعل الخليل بن أحمد الفراهيدي، و على نحو ما فعل تلميذه سيبويه في الكتاب، وفعل ذلك علماء كثيرون بعدهما، في القديم والحديث.

وهذا الترتيب هو وسيلة لتقريب دراسة مخارج الأصوات وتيسير تذكر مواضعها، وهو ترتيب خاص بالمشتغلين بدراسة الأصوات قديماً وحديثاً، وقد لا نجد نموذجاً موحداً لترتيب الحروف في هذا المجال، فهناك دائماً اختلاف يسير في تحديد موضع عدد من الحروف من المخارج ينعكس على ترتيبها.

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الثانية
الحركات: طبيعتها، وعلاماتها، ووظيفتها

اللغة أصوات تنتظم في كلمات وجمل، للدلالة على المعاني التي يريدها المتكلم، وتُقَسَّمُ الأصوات اللغوية على قسمين حسب الطبيعة النطقية لكل منها وحسب الوظيفة اللغوية، وهما: الصوامت والمصوِّتات، وقد سمَّاهما عدد من علماء التجويد: الجوامد والذوائب، وتعددت المصطلحات التي استعملهما دارسو الأصوات اللغوية المحدثون وهم يترجمون المصطلحين الانكليزيين المقابلين لهما إلى العربية، وهما (Consonant)، و (Vowel).

وللحركات خصائص نطقية متميزة، ولها دور في بناء الكلمات وتوليد الصيغ، كما أنها اختصت في الكتابة العربية بعلامات توضع فوق الحروف أو تحتها، وكل ذلك يجعلها جديرة ببحث مستقل يتناول القضايا المتعلقة بها.

المطلب الأول: طبيعة الحركات الصوتية

الصوت اللغوي أثر مسموع ينتج عن حركة أعضاء آلة النطق لدى الإنسان، ويستخدم الناطق هواء الزفير لإنتاج الأصوات اللغوية التي تتكون منها ألفاظ اللغة، لكن إنتاج الصوت اللغوي يحتاج إلى اجتماع عاملين هما:

الأول: النَّفَسُ، وهو هواء الزفير.

والآخر: العارِضُ، وهو أن تتدخل أعضاء النطق فَتُضيِّقَ مجرى النَّفَسَ أو تَسُدَّهُ، فتنتج الأصوات عن طريق تتابع ذلك السد والتضييق من خلال عملية سريعة ومتعددة الجوانب.

ويتفاوت مقدار اعتراض آلة النطق للنَّفَس، فمن الأصوات ما يكون الاعتراض في أدنى درجاته، فيمر الهواء من ممر واسع نسبياً، ومن الأصوات ما يكون الاعتراض معها كبيراً فَيُضَيِّقُ مَمَرَّ النَّفَس في مخرج الصوت أو يَسُدُّهُ تماماً، وتُقَسَّمُ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأصوات بناء على ذلك على قسمين رئيسين، هما: الأصوات الذائبة أو المصوتة التي تتميز باتساع مخارجها، والأصوات الصامتة أو الجامدة، والتي تتميز بضيق المخرج أو انغلاقه.

وتشمل المصوتات الحركات وحروف المد، وتشمل الصوامت جميع الأصوات الأخرى.

ولعل من المفيد النظر في كيفية إنتاج المصوتات، لإدراك خصائصها وتَمَيُّزِها عن الصوامت، ويأخذ هذا الموضوع مساحة واسعة في كتب الأصوات اللغوية يمكن الرجوع إليها عند الرغبة في الوقوف على تفاصيله، لكني سوف أذكر هنا ما يكشف للقارئ حقيقة هذه المجموعة من الأصوات ليدرك أنها تستحق أن تعامل بصفتها مجموعة متميزة لها خصائص صوتية مشتركة، وتؤدي وظائف لغوية لا تؤديها الصوامت.

والمصوِّتات في العربية ثلاثة من حيث النوع ستة من حيث الكمية أو الطول، وهي:

(١) الفتحة، وهي حركة قصيرة، فإن طوَّلها الناطق صارت ألفاً، فالفتحة ألف صغيرة، والألف فتحة طويلة.

(٢) الكسرة، وأختها ياء المد.

(٣) الضمة، وأختها واو المد.

ويحسن تذكير القارئ أن للواو والياء في العربية طبيعتين صوتيتين، فهما يَكُونَانِ صَوْتَيْ مَدٍّ من جنس الضمة والكسرة حيناً، ويكونان صوتين جامدين مثل بقية حروف العربية أُخرى، فيسميان حَرْفَيْ لِينٍ أو حَرْفَيْ عِلَّة، وهذه مسألة مهمة في إدراك وظيفة كل منهما في اللغة.

فإذا فتح الناطق فاه ودَفَع النَّفَس إلى الخارج وجعل الوترين الصوتيين يتذبذبان أو يهتزان، حَصَلَ صوت الفتحة، والألف، والفتحة قصيرة والألف طويل.

وإذا كان القارئ لم يقف من قبل على دور الوترين في إنتاج الأصوات اللغوية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فإني أذكر له بإيجاز شديد أن آلة النطق تتألف من مجموعة أعضاء تتوزع على ثلاثة تجاويف هي: تجويف الحلق، وتجويف الفم، وتجويف الأنف، وفي أقصى تجويف الحلق صندوق غضروفي صغير يقع في أعلى القصبة الهوائية، ويمكن ملاحظة موضعه في النتوء البارز في الرقبة، ويتألف هذا الصندوق من مجموعة من الغضاريف تضم في داخلها الوترين الصوتيين، وهما يُشْبِهَانِ شفتين صغيرتين رقيقتين لهما القابلية على الانفراج فيكون مجرى النَّفَس مفتوحاً في حالة التنفس الاعتيادي، وفي حالة إنتاج عدد من الأصوات، والتي تعرف بالأصوات المهموسة. ولهما القابلية على التَّضَامِّ أو الانطباق فيسدان مجرى النَّفَس، ويؤدي ذلك إلى تذبذبهما نتيجة لضغط الهواء من داخل الصدر، وينتج عن ذبذبتهما نغمة صوتية تسمى النغمة الحنجرية، والتي تصاحب ما يعرف بالأصوات المجهورة.

ويمكنك إدراك أثر اهتزاز الوترين الصوتيين في الحنجرة عند النطق بالأصوات المجهورة بوضع راحة يديك على أذنيك، فسوف تحس بدوي شديد ناتج عن ذلك الاهتزاز، وإذا نطقت بصوت مهموس فإنك لن تسمع ذلك الصوت، جرِّب ذلك بنطق:(ذ ذ ذ) ثم انطق:(ث ث ث)، فإنك سوف تسمع الدويَّ مع الذال، لأنه صوت مجهور، ولا تسمعه مع الثاء لأنه صوت مهموس، وإذا نطقت بالذال والثاء متتابعين في نفس واحد هكذا (ذ ث ذ ث ذ ث) لوجدت أن الدويَّ الناتج عن اهتزاز الوترين يظهر مع الذال ويختفي مع الثاء، وتستطيع أن تميز جميع الأصوات المجهورة عن المهموسة بهذه الطريقة.

وإذا اتضح دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات اللغوية أمكن معرفة الطبيعة الصوتية لكل من الفتحة والألف، وذلك إذا فتح الناطق فاه وجعل الوترين الصوتيين يتذبذبان أو يهتزان، فإن كان الصوت قصيراً فهو الفتحة، وإن كان طويلاً فهو الألف، وإذا أوقف الناطق اهتزاز الوترين اختفى الصوت وتحوَّل إلى نفس غير مسموع، لأن انفتاح الفم عند نطق الفتحة والألف يجعل النفس يمر في مجرى واسع فلا يحدث اهتزاز لجزيئات الهواء، فلا تحدث موجة صوتية تنتقل إلى إذن السامع.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولعلك تتساءل عن الفرق بين الذال والثاء من جانب، والفتحة والألف من جانب آخر فالجواب أن الذال إذا أوقفنا اهتزاز الوترين تحوَّل إلى ثاء، بينما إذا أوقفنا اهتزاز الوترين عند النطق بالفتحة والألف زال الصوت وتحول إلى نَفَسٍ غير مسموع.

وسَبَبُ ذلك هو أن آلة النطق تعترض النَّفَسَ في مخرج الثاء والذال فيمر الهواء في مجرى ضيق يؤدي إلى حصول احتكاك مسموع للهواء، فإذا نطقنا الذال ثم أوقفنا اهتزاز الوترين اختفى صوت النغمة الحنجرية، وبقي الأثر الصوتي الناتج من مرور الهواء في مجرى ضيق في مخرج الصوت، في حين أن آلة النطق عند إنتاج الفتحة والألف تكون واسعة لا تعترض النَّفَسَ ولا تضيِّق مجراه تضييقاً من شأنه أن يُحْدِثَ احتكاكاً مسموعاً، ومن ثم فإن إيقاف النغمة الحنجرية يؤدي إلى زوال الصوت وانعدام أثره البتة، وتحوله إلى نَفَس غير مسموع، وهذا هو الفرق الجوهري بين الأصوات الصامتة والأصوات المصوتة.

وإذا نطقت بالفتحة والألف واللسانُ مُسْتَلْقٍ في قاع الفم مع أدنى ارتفاع في مقدَّمه كان صوتهما رقيقاً، وذلك كالفتحات في (كَتَبَ)، والألف في (كاتب)، و (ذاهب) و عامل)، وإذا نطقت بهما مع تصعد اللسان من أقصاه قليلاً كان الصوت غليظاً ونتج عنه صوت الفتحة المفخمة في مثل (صَرَطَ) والألف المفخمة في مثل (صام) و (قام) و (طاب).

وإذا فَتَحَ الناطق فاه بدرجة أقل من انفتاحه مع الفتحة والألف، فإنْ تَصَعَّدَ من اللسان مُقَدَّمُهُ إلى الحد الذي لا يحدث معه احتكاك مسموع نتج عن ذلك الكسرة وياء المد، وذلك مثل كسرة العين في (عِنَب) وياء المد في (قِيل)، وإن تَصَعَّدَ أقصاه إلى الحد الذي لا يحدث معه احتكاك مسموع نتج عن ذلك الضمة وواو المد، وذلك مثل ضمة الباء في (بُعْد)، وواو المد في (غَفُور)، والأمثلة على ذلك في العربية أكثر من تحصى أو تعد، ويمكنك ملاحظة ذلك في أي جملة أو كلمة.

وذكرتُ لك قبل قليل أن للواو والياء طبيعتين صوتيتين، فهما من المصوتات

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إذا كانا حرفي مد، وذلك بأن يكونا ساكنين وقبلهما حركة من جنسهما حسب تعبير علماء العربية والتجويد المتقدمين، وهما صوتان جامدان إذا تحركا، أو كانا ساكنين وقبلهما فتحة، وذلك في مثل وَعد، ويَعد، و بَيْت، ويَوْم، أو كانا مشدَّدين في مثل (قوَّمَ)، (سَيَّر)، وما أشبه ذلك.

والفرق بين الياء والواو المُصَوِّتَيْنِ، والياء والواو الصامتين أن درجة انفتاح المخرج في المُصَوِّتَيْنِ أكثر من انفتاحه في الجامدين، فالفراغ بين اللسان وسقف الفم عند النطق بالياء في (كرِيم) أكبر من الفراغ عند النطق بالياء في (بَيْت) أو (بَيَّتَ) ومن ثم كانت الياء في (كريم) مصوتاً، وفي الكلمتين الأخريين صوتاً جامداً، وكذلك اتساع المخرج عند النطق بالواو في (غفور) أكثر من اتساعه في (قَوْم) أو (قوَّمَ).

هذه خلاصة في بيان طبيعة الحركات الصوتية، ولهذا الموضوع تفصيلات أُخرى في كتب علم الأصوات اللغوية، وفي كتب علماء العربية والتجويد، يمكن لمن رغب في الاستزادة الرجوع إليها، لكني أود قبل الانتقال إلى جانب آخر من الموضوع التذكير بقضية مهمة هي أن عدداً من دارسي الأصوات المحدثين نسبوا إلى علماء اللغة العربية المتقدمين عدم اهتمامهم بدراسة الحركات وحروف المد، وتقصيرهم في فهم طبيعة هذه الأصوات، فقد قيل: (لم يُعْنَ بها المتقدمون من علماء العربية)[1]. كما قيل: (لم يُعْنَ بها علماء العربية عنايتهم بالأصوات الصامتة (الحروف)...)[2].

وهذه المقولة ناتجة عن عدم الاطلاع على جميع ما قاله علماء العربية عن هذه الأصوات، وكذلك عدم الاطلاع على ما قاله علماء التجويد حولها، ولإزالة هذه الشبهة من الأذهان اخترت نصوصاً قليلة لكنها ذات دلالة على صحة ما ذكرت، مع القول إن ذلك لا يعني أن المحدثين لم يأتوا بجديد في دراسة الأصوات، لكنْ إذا

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص٣٧.

(٢) كمال بشر: علم الأصوات ٤١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كان علماء السلف قد توصلوا إلى فهم طبيعة هذه الأصوات وأدركوا بوسائلهم المحدودة جوانب مهمة من خصائصها فينبغي عدم إهمال ذلك أو الإغضاء من قيمة ما توصلوا إليه.

وأول ذلك ما يتعلق بتقسيم الأصوات إلى صامته ومصوتة، فمعظم دارسي الأصوات ينسبون هذا التقسيم للدرس الصوتي الغربي، ولكن علماء السلف كانوا قد عرفوا هذا التقسيم وأدركوا الأسس التي يقوم عليها.

قال أحمد بن أبي عمر الأندرابي(ت ٤٧٠هـ): (والحروف الذائبة ثلاثة: الياء المكسور ما قبله، والواو المضموم ما قبله، والألف ولا يجيء إلا مفتوحاً ما قبله، وهذه حروف المد واللين، سُمِّيَت بذلك لأنها تذوب وتلين وتمتد، وما عداها جامد، لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد)[1].

وقال أبو شجاع محمد بن علي الدهان (ت ٥٩٢هـ): (اللفظ قالبُ المعنى، ومَرْكَبُهُ المُوَصِّلُهُ إلى الذهن، وقد خُصَّ اللسان العربي بأفصح اللفظ، وبه خوطبنا في عزيز الكتاب والسُّنَّة، فاللفظ يُعَبِّر عما في الضمير، وما في الذهن مثال للمُعَبَّرِ عنه، والكتابة تنوبُ عن العبارة، والعبارة مجموع ألفاظ مفيدة، واللفظة مُرَكَّبَةٌ من الحروف، والحروف تنقسم إلى صامتة ومصوتة.

فالصامت ما يتمكن من مَطْلَعِهِ، ويتميَّز به الصوت مثل: س ع د.

والمصوِّت ما يخرج في الهواء، فيحمل الحرفَ الصامت إلى السمع، كالضمة والفتحة والكسرة، التي متى مُطِلَتْ صارت (واي)...)[2].

وأدرك علماء السلف العلاقة بين الحركات وحروف المد وأنها ذات طبيعة واحدة، وهذه مقتطفات قصيرة مما قالوه لكنها ذات دلالة كبيرة في ما أحسب، وعلى دارسي الأصوات المحدثين أن يقفوا عندها، ويتذكروا دلالاتها.

---

(١) الإيضاح ص٣١٨، وينظر: الشيرازي: الموضح ١/١٧٥.

(٢) تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء ورقة ٢و.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال ابن جني (ت ٣٩٢هـ): (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة)[١].

وقال السيد الشريف الجرجاني (علي بن محمد ت ٨١٦هـ): (الحركات داخلة في المُصَوِّتات، فلذلك انقسمت المُصَوِّتة إلى مقصورة هي الحركات، وممدودة هي الحروف المخصوصة)[٢].

وقال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): (وإن الحركات والحروف أصوات، وإنما رأى النحويون صوتاً أعظم من صوت، فَسَمَّوُا العظيم حرفاً، والضعيف حركة، وإن كانا في الحقيقة شيئاً واحداً)[٣].

وأدرك علماء السلف أيضاً الطبيعة المزدوجة لكل من الواو والياء، في كونهما صوتين جامدين تارة ومصوِّتين أخرى، فقال عبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١هـ): (الواو والياء تكونان تارة من حروف المد واللين بأن تَسْكُنَا ويكون ما قبلهما منهما، وتارة يتحيَّز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وُجِدَ ذلك زال عنهما معظم المد، وبقي اللين، وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة).

وكان ابن سينا (الحسين بن عبد الله ت ٤٢٨هـ) قد مَيَّز بين الواو الصامتة والواو المصوِّتَة، وميَّز بين الياء الصامتة والياء المصَّوتة، وحاول أن يوضح مخرج كل منها[٤]، واستعماله لمصطلحي الصامتة والمصوتة في وصف كل من الياء والواو

(١) سر صناعة الإعراب ١/١٩.
(٢) شرح المواقف ٥/٢٧٥.
(٣) الأشباه والنظائر ١/١٧٧.
(٤) ينظر: أسباب حدوث الحروف ص١٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دليل أكيد على تمييزه بين حالتي هذين الحرفين، على نحو ما ميَّز كثير من علماء العربية والتجويد بينهما أيضاً.

المطلب الثاني: علامات الحركات

الكتابة نظام من الرموز المنظورة لتمثيل أصوات اللغة المسموعة، وتقدَّم الحديث عن أولية الكتابة العربية وتطورها عن الكتابة النبطية المتفرعة عن الكتابة الآرامية، وحملت الكتابة العربية في أطوارها الأولى خصائص مجموعة الكتابات التي ترتبط بها، التي ورثتها عن طريق الكتابة النبطية.

ومن أهم خصائص تلك الكتابات أنها كانت تمثل الحروف الصامتة فقط، فالأبجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً تمثل الحروف الصامتة، وكذلك بقيت الكتابة العربية تحمل آثار هذه الخاصية بعد أن أضاف إليها الكُتَّاب العرب الأوائل الحروف الستة المسماة بالروادف، ويعلل دارسو الكتابات القديمة هذه الخاصية بأسلوب بناء الصيغ في اللغات التي استعملت تلك الكتابات، الذي يستند إلى الحروف الصامتة، وتعمل الحركات وحروف المد على توليد المعاني من تلك الصيغ[(١)].

واستكملت هذه الكتابات وضع رموز أو علامات للمصوتات الطويلة (أي حروف المد)، و القصيرة (أي الحركات) في أوقات مبكرة من تاريخها، وكان استعمال رموز لحروف المد متقدماً على وضع علامات للحركات[(٢)].

والذي يعنينا هنا هو الحديث عن ذلك في الكتابة العربية، وبيان كيف تحقق ذلك والظروف التي أدت إليه، من خلال الفقرتين الآتيتين.

(١) حروف المد:

كانت مجموعة الكتابات التي ترتبط بها الكتابة العربية لا تتضمن رموزاً لحروف المد (أي الحركات الطويلة)، (ومع اتساع هذه الكتابة وتشعبها، ومع تقادم

---

(١) ينظر: بروكلمان: فقه اللغات السامية ص٣٧، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٣٢٢، وجواد علي: المفصل ٨/١٤٥.

(٢) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٣٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

العهد على استعمالها، بدأ أصحابها يدخلون فيها أشكالاً خاصة بالصوائت)[١].

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن الكتابة الآرامية في بلاد الشام قد استخدمت رمزي الواو والياء الصامتين لتمثيل الضمة الطويلة (واو المد)، والكسرة الطويلة (ياء المد)، قبل الميلاد بعدة قرون. وحين استخدم الأنباط الكتابة الآرامية استعملوا النظام نفسه، و تمكنوا من استخدام رمز الألف في أول الأبجدية الذي يعبر عن صوت الهمزة لتمثيل الفتحة الطويلة (ألف المد) في آخر الكلمات دون وسطها[٢].

وكانت الكتابة العربية قبل الإسلام قد تبنت النظام نفسه في تمثيل حروف المد الثلاثة، لكن يبدو أن الألف لم تكن تُرْسَمُ دائماً في وسط الكلمات، وأن الكلمة إذا تجاور فيها واوان أو ياءان أو ألفان رُسِمَ أحدهما وحذف الآخر.

ويظهر ذلك في النقوش العربية القديمة ونقوش صدر الإسلام، لكن أهم وثيقة في تاريخ الكتابة العربية القديمة هي رسم المصحف العثماني الذي يحمل خصائص الكتابة العربية في تلك الحقبة، فنجد رمز الألف يُمثل الهمزة كما أنه يمثل ألف المد، والواو تمثل الواو الصامتة وواو المد، والياء تمثل الياء الصامتة وياء المد.

وفي ظواهر رسم المصحف أمثلة تشير إلى أن استخدام الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء لتمثيل حروف المد الثلاثة (المصوتة) لم يكن قد بلغ مراحله النهائية، فنجد كلمات لم يثبت فيها رمز الألف الممثلة لألف المد، كما في (الرحمن، والعالمين، ومالك) في سورة الفاتحة، ومواضع أخرى كثيرة نصت عليها كتب رسم المصحف.

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن كل ما أدَّى القياس فيه إلى اجتماع ياءين أو واوين أو ألفين أو أكثر فإنه لا يُرْسَمُ إلا حرفٌ واحدٌ منهما، كما في كلمة ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:٦١]،

(١) رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٣٢٣.

(٢) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص٣٢٤ـ٣٢٥، ورسم المصحف ص٥٧ ـ ٥٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

و﴿ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٥]، و﴿يَلْوُۥنَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، و﴿ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، و﴿ءَأَنتُمْ﴾ [الملك: ١٧]، و﴿ءَأَلِهَتُنَا﴾ [الزخرف: ٥٨][(١)].

وبعد أن أخضع علماء اللغة العربية قواعد الإملاء في غير رسم المصحف لأقيستهم الصرفية والنحوية أثبت الكُتَّاب الحروف الثلاثة في معظم المواضع التي كانت تحذف منها، ما عدا كلمات قليلة حافظت على رسمها القديم لتكون شاهداً على حقبة من تاريخ الكتابة العربية، وذلك مثل: هذه، ولكن، وأولئك، ونحوها.

(٢) علامات الحركات

يكاد الدارسون يجمعون على أن الكتابة العربية قبل الإسلام كانت مجردة من علامات الحركات وغيرها، وقديماً قال الحافظ أبو عمرو الداني:إن العرب لم يكونوا أصحاب نَقْطٍ وشَكْلٍ[(٢)].

وبعد نزول القرآن الكريم وتدوينه بالكتابة العربية في المصاحف، وحاجة القراء إلى ما يساعد على ضبط القراءة وتلافي الوقوع في الخطأ بسبب خلو الكتابة من علامات الحركات، اجتهد علماء التابعين وتابعيهم باختراع نظام لتمثيل الحركات، وقد مَرَّ ذلك النظام بمرحلتين، هما:

(أ) المرحلة الأولى: قام فيها أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت ٦٩هـ) باستعمال النقاط الحمر للحركات، فجعل للفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحت الحرف، والضمة نقطة بين يدي الحرف، أو بعده، وجعل للتنوين نقطتين[(٣)].

(ب) المرحلة الثانية: قام فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) باستعمال علامات صغيرة للحركات مأخوذة من حروف المد، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف، والكسرة ياء مردودة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف

(١) ينظر: الداني: المقنع ص٢٤و٣٦و٤٩.
(٢) المحكم ص١٧٦.
(٣) ينظر: الداني: المحكم ص٤و٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بدلاً من النقاط الحمر التي استعملها أبو الأسود للحركات[١].

وحَلَّت طريقة الخليل لتمثيل الحركات محل طريقة أبي الأسود تدريجياً، فاستعملت أولاً في ضبط الكتب، ثم استعملت في المصاحف، حتى جاء زمان تُركِت فيه طريقة الدؤلي، وزالت من الاستعمال، وبقيت نسخ من المصاحف الأولى التي ضبطت بطريقة الدؤلي تؤكد الروايات التاريخية التي تحدَّثَتْ عما قام به من اختراع تلك العلامات.

وسبق لي أن بحثت على نحو مفصل في تفاصيل هاتين المرحلتين في أعمال سابقة[٢]، ولا أجد ضرورة هنا لإيراد أكثر من هذه الخلاصة، لكن من المفيد للقارئ الاطلاع على صور من مصاحف قديمة تمثل تلك المراحل:

صفحة من المصحف المنسوب لعثمان بن عفان في جامع الحسين بالقاهرة
وهو مجرد من الحركات

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٧.

(٢) ينظر: رسم المصحف ص٣٩١، وعلم الكتابة العربية ص٥٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

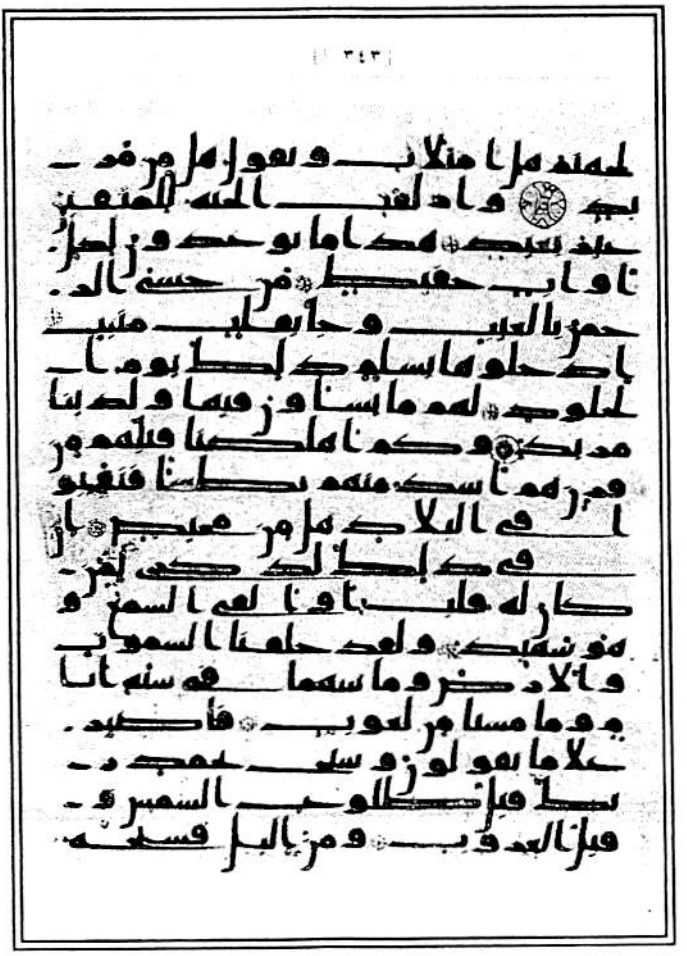

صورة من مصحف طوب قابي سرايي بإستانبول

منقوط بطريقة أبي الأسود الدؤلي

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صفحة من مصحف ابن البواب المحفوظ في مكتبة جستربتي

وهو مؤرخ بسنة ٣٩١هـ

(٣) علامات أُخرى

من تمام الحديث عن علامات الحركات ذكر علامات أُخرى اصطنعها علماء الكتابة العربية لضبط النطق وتيسير القراءة، وأكثرها من وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي[١].

وجمع ابن درستويه تلك العلامات في قوله: (اعلم أن الشَّكْلَ زيادة تلحق

(١) ينظر: الداني: المحكم ص٦ ـ ٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحروف للحاجة إليها، وهو على ضربين: ضرب هو صور للحركات وللسكون... وضرب هو زيادة يُؤْتَى بها مع الحروف للفرق كما كان النَّقْط كذلك.

فأما الشكل الذي هو صور للحركات والسكون فأربعة أشياء: الفتحة، والضمة، والكسرة، والوقفة...

وأما الشكل الذي هو زيادة للفرق فهو خمس علامات: التشديدة، والتنوينة، والهمزة، والمدة، وعَلَم ألف الوصل.

وكل واحدة من ذلك إنما هو طائفة من حرف مأخوذ من اسمه كما كانت صور الحركات والسكون كذلك)[1].

ولا يخفى على القارئ صور هذه العلامات، لأننا لا نزال نستعملها في كتابتنا إلى اليوم، ولا بأس في التذكير ببعض الجوانب المتعلقة بهذه العلامات:[2].

١. **السكون**، هو عدم الحركة، وعلامته القديمة رأس حرف الخاء، أوَّل كلمة خفيف، وما زالت هذه العلامة هي المستعملة في رسم المصحف، ولكن من غير نقطة، فتبدو مثل دال صغيرة فوق الحرف الساكن.

وللسكون علامة أخرى، وهي الدائرة الصغيرة المفرغة، وهي علامة الصِّفر لدى أهل الحساب، وهذه العلامة هي المستعملة في الكتابة العربية في ما عدا رسم المصحف.

٢. **الشدَّة أو التشديد**، وعلامته شين غير معرَّقة، مأخوذة من كلمة (شديد)، وهي تدَّل على أن الحرف الذي توضع فوقه يُنْطَقُ حرفين، أو هو في حكم حرفين في الوزن، مثل وضع الشدة على العين في وزن (فعَّل)، وما كان على مثاله من الأفعال، وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصر.

---

(١) كتاب الكُتَّاب ص٩٨ ـ ٩٩.

(٢) من رغب في الاطلاع على التفاصيل فعليه بكتاب: رسم المصحف ص٤٨٤، وعلم الكتابة العربية ص٨٢، وما بعدها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهذه العلامة مستعملة في رسم المصحف وغيره من صور الكتابة العربية القديمة والحديثة، وهي توضع في الحرف للدلالة على التشديد الأصلي الذي هو من بنية الكلمة، وتوضع فوق الحرف الذي يلحقه الإدغام في النطق المتصل، مثل قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، و مثل ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة: ٥]، وما كان مثله.

٣. علامة التنوين: التنوين نون ساكنة تلحق آخر الأسماء المتمكنة إذا تجردت من (أل) والإضافة، وكان أبو الأسود الدؤلي قد جعل علامة التنوين نقطتين، واحدة للحركة والأخرى للنون الساكنة التي يطلق عليها التنوين، تمييزاً لها عن النون الأصلية.

وصارت علامة التنوين هي تكرار الحركة في آخر الاسم، بعد أن غيَّر الخليل نقاط أبي الأسود بالحروف الصغيرة لتدل على الحركات الثلاث.

٤. المَدَّة، وهي علامة توضع فوق حروف المد للدلالة على زيادة مَدِّها في النطق أكثر من المد الطبيعي الذي يُقَدَّر بحركتين، وذلك إذا وقع بعد حرف المد همزة أو ساكن مخفف أو مشدَّد، كما تجد ذلك في رسم المصحف في مثل ﴿جَآءَ﴾ و ﴿وَجِاْيٓءَ﴾ و ﴿سُوٓءَ﴾ و ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ و نحوها.

وقد اسْتُعْمِلَتْ هذه العلامة في غير رسم المصحف للدلالة على الهمزة الممدودة في أول الكلمات ووسطها وآخرها، وذلك في مثل كلمة (آخِر)، و (الآخِرة)، وفي مثل (قرآن)، وفي (قَرَأَ) و(ابْتَدَأَ)، وهذه الكلمات وأمثالها ترسم في المصحف هكذا: ﴿ءَاخَرَ﴾ و ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ و ﴿قُرْءَانٍ﴾ ولا توضع حينئذ عليها علامة المد.

وسوف نستكمل الحديث عن هذه العلامات، والعلامات الأخرى الخاصة بهمزة القطع وهمزة الوصل في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: وظيفة الحركات في اللغة

للحركات دور كبير في بناء المفردات وفي تركيب العبارات، ولا يقاس دورها بنسبة عددها بين أصوات اللغة، فإذا كان عدد الصوامت في اللغة العربية ثمانية وعشرين صامتاً، والحركات ثلاث قصيرة، وثلاث طويلة (وهي حروف المد)، فإن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

نسبة الحركات إلى بقية حروف اللغة تصل إلى الخُمْسِ تقريباً، لكن دورها في اللغة قد يصل إلى النصف، وقديماً قال سيبويه وهو يتحدث عن حروف المد الثلاثة وأبعاضهن وهي الحركات: (فأما الأحرف الثلاثة فإنهن يكثرن في كل مَوْضع، ولا يخلو منهن حرف [يعني كلمة]، أو من بعضهن، إلا أن الواو لا تلحق أولاً، ولا الياء أولاً، في ما ذكرت لك، ثم ليس شيء من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام، هُنَّ لكلِّ مَدٍّ، ومنهنَّ كل حركة، وهن في كل جميع [يعني: جَمْعٍ] وبالياء الإضافة والتصغير، وبالألف التأنيث، وكَثْرَتُهُنَّ في الكلام وتَمَكُّنُهُنَّ فيه زوائدَ أفشى من أن يُحْصَى ويُدْرَكَ)[1].

ولا يعني استعمال العلامات الصغيرة التي توضع فوق الحرف للدلالة على الحركات أنهن أقل أهمية من الحروف، فهذا مجرد اصطلاح كتابي أدَّى إليه التطور التاريخي للكتابة العربية، وعلى دارس اللغة أن يتذكر أن الحركة تنطق بعد الحرف، وإنْ كانت علامتها توضع فوقه، فإذا حللَّنا الفعل (كَتَبَ) صوتياً وكتبناه كتابة صوتية أدركنا ذلك بسهولة، وذلك على النحو الآتي: (كـَ تـَ بـَ) وإذا أردت أن ترسمه بالكتابة الصوتية الدولية[2] كان هكذا: (Kataba) ومثل ذلك كُتِبَ: Kutiba.

ويمكن توضيح أهمية الحركات وحروف المد في اللغة العربية خاصة، واللغات عامة، من خلال النقاط الآتية:

(١) اللغة العربية لغة اشتقاقية، شأنها في ذلك شأن فصيلة اللغات التي ترتبط بها، والتي يطلق عليها اللغاتُ الجَزَرِيَّةُ (أو السامية)، ويستند بناء الكلمات فيها إلى

---

(١) الكتاب ٤/٣١٨.

(٢) الكتابة الصوتية الدولية مجموعة رموز معظمها من الكتابة اللاتينية استعملها دارسو الأصوات الغربيون للتخلص من عيوب كتاباتهم القومية عند دراسة أصوات اللغة، ولا يحبذ بعض الباحثين العرب استعمالها، لعدم الحاجة الماسة إليها، لأن الكتابة العربية تصلح أن تكون كتابة صوتية إذا أُحسن تمثيل الحركات فيها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أصل ثلاثي من الحروف الصامتة في الغالب، وتقوم الحركات، وبعض حروف الزيادة بتوليد الصيغ من هذا الأصل.

تأمل الأصل الثلاثي (ك ت ب) وما ينتج عنه من صيغ، فإن ذلك سيكشف لك طبيعة اللغة العربية في بناء الكلمات من جانب، ويكشف دور الحركات في ذلك من جانب آخر، لاحظ مجموعات الكلمات المتولدة من هذا الأصل:

كَتَبَ، يَكْتُبُ، اكْتُبْ، كَتْب، كِتابة، كاتِبٌ، مكتوب، مَكْتَب، مَكْتَبة، كِتَاب، كُتُب.

كَاتَبَ، يُكَاتِبُ، كاتِبْ، مُكَاتَبَة، مُكاتِبٌ... إلخ.

استكتب، يستكتب، استكتِبْ، استكتاب... إلخ.

كَتَّبَ، يُكَتِّبُ، كَتِّبْ، تكتيب... إلخ.

كُتِبَ، كُوتِبَ، استُكْتِبُ، كُتِّبَ... إلخ.

ولو استكملتَ قوائم هذه الكلمات، وما يمكن أن ينضاف إليها من صيغ أُخرى تؤخذ من هذا الأصل لتجاوزت الصيغ المتولدة الخمسين صيغة، وهو أمر يكشف عن ثراء اللغة العربية من جانب، ودور الحركات في توليد الصيغ للدلالة على المعاني من جانب آخر.

(٢) للحركات وحروف المد دور أساسي في بناء المقطع الصوتي في اللغة العربية، والمقطع: مجموعة أصوات تُنْتَجُ بضغطة صدرية واحدة، ولكل لغة نظامها المقطعي الخاص بها.

والمقطع في العربية يبدأ دائماً بصوت صامت (من حروف العربية الثمانية والعشرين)، ويكون الصوت الثاني دائماً مصوتاً، قصيراً (حركة) أو طويلاً (حرف مد)، وبعض المقاطع يَلْحَقُ المصوَّتَ فيه صامتٌ أو صامتان، وتكون أنواع المقاطع في العربية ستة:

١. قصير مفتوح: ص ح (ص = صامت، ح = حركة).

٢. طويل مفتوح: ص ح ح (ح ح = حرف مد).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣. قصير مغلق بصامت: ص ح ص.

٤. طويل مغلق بصامت: ص ح ح ص.

٥. قصير مغلق بصامتين: ص ح ص ص.

٦. طويل مغلق بصامتين: ص ح ح ص ص.

والنوعان الأخيران لا يوجدان في العربية إلا في حالة الوقف، وهذه أمثلة لأنواع المقطع في العربية.

١: ص ح: كْ ـُ، ت ـِ، ب ـَ (كُتِبَ).

٢: ص ح ح: م ـَ ـَ (ما).

٣: ص ح ص: م ـَ ن (مَن).

٤: ص ح ح ص: ش ـَ ـَ ب (من: شَابَّة).

٥: ص ح ص ص: م ـَ د د (مَـدّ: عند الوقف).

٦: ص ح ح ص ص: م ـَ ـَ د د (مَادّ: عند الوقف)

وأنت تلاحظ أن مركز المقطع الذي يلي الحرف الأول دائماً يكون حركة قصيرة أو طويلة، وإذا حدث أن اختل هذا النسيج للكلمات العربية اضطر ذلك أهلَ اللغة إلى تغيير بنية الكلمات لتتوافق مع قانون بناء المقطع في العربية، لاحظ الأمثلة الآتية:

١. مِنْ ٱلْبَيْت: تسقط همزة الوصل، ويلتقي ساكنان النون واللام، ولابد حينئذ من تحريك النون بحركة التخلص من التقاء الساكنين، وهي في الحقيقة حركة إعادة التوازن إلى المقطع، لأن العربية ليس فيها مقطع بهذا التركيب في وصل الكلام: (ص ح ص ص)، فتأتي الحركة ليتحول إلى مقطعين (ص ح، ص ح ص).

٢. لَمْ يَقُوْمْ ٱلرجلُ: هذا القياس الحرفي لتركيب الجملة، لكننا نجدها في الاستعمال الواقعي المقبول هكذا (لم يَقُمِ الرجل)، فحُذِفَ حرف المد وحُرِّكَتِ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الميم بالكسرة حتى يعاد التوازن إلى مقاطع الكلمة.

(٣) وللحركات وظيفة مهمة في الجملة العربية، وهي الإعراب، وهو في اللغة الإبانة، وفي الاصطلاح تحريك آخر الكلمة في الجملة بإحدى الحركات الثلاث أو ما ينوب عنها للدلالة على وظيفة الكلمة النحوية في الجملة، وهو معنى قول النحاة: الإعراب هو الحركة التي يجلبها العامل في آخر الكلمة.

والإعراب من أهم خصائص العربية، له وظيفة لفظية، ووظيفة معنوية، أما اللفظية فقد (جعله الله وَشْياً لكلامها، وحلية لنظامها). وأما المعنوية فهي أنه يُمَيِّزُ المعاني ويُفَرِّق بين الفاعل، و المفعول، والمضاف، وغيرها من عناصر الجملة العربية، التي عليها مدار معاني الكلام.

ولهذه الخصائص والوظائف المتعلقة بالحركات في العربية مباحث مطوَّلة في دراسات الباحثين المحدثين، وفي كتابات العلماء المتقدمين، أشرت إلى هذه الخلاصة المقتضبة منها، عسى أن تكون موفيَّة بما تطلعت إليه نفس السائل، وإن وجدها مقصِّرَة عن المطلوب فعليه بالمصادر الأخرى المفصلة، ولا يَنْسِبَنَّ ما في هذه الصحائف من تقصير إلى العربية وعلمائها، فإنه قد يندُّ عن الفرد الواحد بعض الحقائق وتخفى عليه بعض الدقائق، لكن ذلك لن يذهب عن مجموع علماء العربية المتقدمين أو الباحثين المحدثين، فكلٌّ يتحدث عما رأى من خصائص هذه اللغة الشريفة، ويصف ما أعجبه من دقة البناء وجمال النظم، والقارئ يمكن أن يصنع لوحة جميلة في التجول في هذه الرياض المونقة، وذلك يحتاج بعض حركة، فالقعود لن يوصله إلى الرياحين ولا يقربه من استنشاق عبيرها، وليس ذلك بكثير على أصحاب الهمم العالية الذين يحتسبون خطاهم عند الله تعالى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً!

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الثالثة
الهمزة: مصطلحاً، وصوتاً، ورسماً، ووظيفة

الهمزة أحد حروف العربية الثمانية والعشرين، وهي الألف التي تقع في أول الأبجدية، وهذه التسمية المزدوجة إحدى القضايا التي تُثار حول الهمزة، إلى جانب قضايا أُخرى صوتية و إملائية حَفَّتْ بمسيرة هذا الحرف الحافلة، فالعرب قبل الإسلام وبعده انقسموا في نطقه قسمين: أهل التحقيق وأهل التسهيل، وكُتَّاب العربية انقسموا في رسمه قسمين: أهل التحقيق يرسمونه ألفاً في جميع مواقعه، وأهل التسهيل يرسمونه بأحد الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء.

وللهمزة علاقة بحروف المد نطقاً ورسماً، لأنها (إذا رُفِّهَ عنها [أي سُهِّلَتْ] لانت، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح)[1].

وللهمزة أيضاً أبواب مفردة في كتب القراءات، تُبيِّن مذاهب القراء في نطق الهمزة، ولها أيضاً أبواب في كتب الرسم تُبَيِّنُ كيفية رسمها في المصحف، ولها مثل ذلك في كتب الضبط، وفي كتب الخط والإملاء، وفي دراسات المحدثين.

وعانى الأوائل من قضايا الهمز كما عانى منها المتأخرون والمعاصرون، فهذا أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) شيخ القراء والنحاة في البصرة يقول: (ما ناظراني أحدٌ قَطُّ إلا غَلَبْتُهُ وقَطَعْتُهُ، إلا ابن أبي إسحاق[2] فإنه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة[3] في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتى ما كنتُ دونه)[4].

---

(١) الخليل: العين ١/٥٢.

(٢) عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري النحوي (ت ١١٧هـ).

(٣) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري: أمير البصرة وقاضيها، وكان راوية فصيحاً أديباً، ولاَّه خالد بن عبد الله القسري عليها سنة ٩٢هـ، وكانت وفاته سنة ١٢٦هـ (ينظر: الزركلي: الأعلام ٢/٧٢).

(٤) الزجاجي: مجالس العلماء ص٢٤٣، وينظر: ابن سلام: طبقات الشعراء ص٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وحَمَلَتِ القضايا المتعلقة بالهمزة علماءَ العربية الأوائل على التأليف في الموضوع، فنجد ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) يذكر في كتابه (الفهرست) أن كلا من محمد ابن المستنير (ت ٢٠٦هـ) الملقب (قطرباً)، وأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، وعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٢١٣هـ) قد ألف كتاباً في (الهمز)[١].

ولا شك في أن جهود علماء العربية المتواصلة في معالجة القضايا المتعلقة بالهمزة قد أوضحت ما أشكل منها، ويسَّرت ما صَعُبَ فهمه على الدارسين منها، وقرَّبت البعيد من مسائلها، لكن آثار تلك المسائل وبقايا تلك المشكلات قد تعترض كل من تعاطى شيئاً من علم العربية، أو استعمل الكتابة العربية، في زماننا هذا وفي غيره، ومن أبسط تلك الإشكالات التوقف في رسم الهمزة في بعض الكلمات: هل تكتب على أحد الأحرف الثلاثة أو على السطر، أو التوقف عند همزة في أول كلمة، وهل هي همزة وصل أو همزة قطع.

وسوف أعرض أهم القضايا والمسائل المتعلقة بالهمزة وعلاقتها بحروف المد من خلال المطالب الآتية:

(١) مصطلح الهمزة

(٢) صوت الهمزة

(٣) رسم الهمزة

(٤) وظيفة الهمزة

المطلب الأول: مصطلح الهمزة

الهَمْزَةُ: مصطلح حادث في زمن علماء العربية الأوائل، للدلالة على الصوت الخارج من أقصى الحلق (أو من الحنجرة)، والذي كان يُطلق عليه مصطلح (الألف) الواقع في أول الأبجدية، وكان بجانب مصطلح الهمز والهمزة مصطلح

(١) الفهرست ص٥٨و٦٠و٦١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

آخر هو النَّبْرُ والنَّبْرَةُ، لكنْ لم يُكْتَبْ له الشيوع مثل مصطلح الهمزة، واستقر الحال في العصور المتأخرة على استعمال الألف للدلالة على الفتحة الطويلة في مثل (كان) والهمزة على الصوت الواقع في أول كلمة (أحمد) ونحوها.

والألِفُ هو الحرف الأول من حروف الهجاء، وتَقَدَّمَ عند الحديث عن أسماء الحروف وترتيبها أنه كان يستعمل للدلالة على ما صار يُعْرَف بالهمزة، قال ابن جني: (اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة)[١]. وقال الإسْتِرَاباذي: (لفظة الألف كانت مختصة بالهمزة)[٢].

والهَمْزُ في اللغة: الغَمْزُ والضَّغْط، ومنه الهمز في الكلام، لأنه يُضْغَطُ، وقد همزتُ الحرف فانهمز، والهمزة من الحروف معروفة، وسُمِّيَت الهمزة لأنها تُهْمَزُ فَتُهَتُّ فتنهمز[٣].

والنَّبْرُ في اللغة: مصدر نَبَرَ، يُقَال نَبَرْتُ الشيءَ أنبره نبراً: رفعتُه، وسُمِّيَ المِنْبَرُ منبراً لارتفاعه، والنَّبْرُ بالكلام: الهمز، يقال نَبَرَ الحرف يَنْبِرُهُ نبراً: هَمَزَهُ، والنَّبْرةُ الهمزة[٤].

ونجد في بعض النصوص استعمال كلمة النبر، والنبرة، مثل النص المنقول عن أبي زيد الأنصاري المتوفى سنة (٢١٥هـ) وهو قوله:(أهل الحجاز وهُذَيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ)، فقال: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا)[٥].

ولم ينتشر استعمال مصطلح النَّبْر و النَّبْرة للدلالة على الهمزة، ويبدو أن مصطلح (الهمزة) قد أزاحه من الاستعمال، فلا نكاد نجد مصطلح (النبرة) في كتب

---

(١) سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

(٢) شرح الشافية ٣/٣٢٠.

(٣) ينظر: لسان العرب ٧/٢٩٣ ـ ٢٩٤ (همز).

(٤) ينظر: لسان العرب ٧/٣٩ ـ ٤٠ (نبر).

(٥) ينظر: لسان العرب ١/١٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أهل النحو والصرف، كما نلاحظ في كتاب سيبويه الذي كان يستعمل مصطلح (الهمزة) كثيراً ولم يذكر (النبرة) إلا في موضع واحد، على ما يبدو، وقد تكون مذكورة بالمعنى اللغوي في هذا الموضع، وهو قوله: (واعلم أن الهمزة إنما فَعَلَ بها هذا مَن لم (يخففها)، لأنه بَعُدَ مَخْرَجُها، ولأنها نبرة في الصدر، تخرج باجتهاد، وهي أبعدُ الحروف مخرجاً، فَثَقُلَ عليهم ذلك، لأنه كالتهوع)[١].

وما تقدَّم يعني حصول تطور في استعمال هذه المصطلحات، فالألف صار يدل على حرف المد الناتج عن إشباع الفتحة في مثل (كان)، والهمزة صارت تدل على الصوت الحنجري في مثل: أخذ، وسأل، وقرأ، لكن استعمال الدلالة الأولى للألف لم تختف، خاصة في وصف الألف الكائنة في أوائل الكلمات، فكثيراً ما يقال ألف الوصل وألف القطع، فقال المبرد: (هذا باب ألفات الوصل والقطع، وهن همزات على الحقيقة)[٢].

وقال ابن خالويه: (فإن قال قائل: أَخْبِرْنِي عن هذه الهمزة التي في أوائل الأفعال: ألفٌ هي أم همزة؟ فالجواب في ذلك أنها همزة بإجماع البصريين والكوفيين، وإنما يُعَبَّرُ عنها بالألف تقريباً على المتعلم، إذ كانت ألفاً في الخط)[٣].

ويفهم من كلام ابن خالويه أن إطلاق مصطلح (الألف) على الهمزة من باب المجاز، لأنها تُرْسَمُ بالألف أحياناً، وصَرَّح أبو عمرو الداني بذلك في قوله: (وإنما سُمِّينَ ألفات مجازاً واتساعاً لكون صورهن صورة الألف)[٤].

ولا يخفى على القارئ أن استعمال مصطلح (ألف الوصل وألف القطع) في الدلالة على الهمزة هو من بقايا الاستعمال القديم للمصطلح، ولعل القول إن

(١) الكتاب ٣/٥٤٨.

(٢) المقتضب ٢/٨٧.

(٣) كتاب الألفات ١/٨٢.

(٤) كتاب الألفات ص٣٥١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إطلاق الألف على المدة الحاصلة بعد الفتحة هو من باب المجاز هو الصحيح، وليس العكس.

وحاول بعض العلماء المتأخرين دفع اللبس عن مصطلح (الألف) بوصف الألف الدالة على الهمزة بأنها الألف اليابسة، والدالة على الفتحة بأنها الألف اللينة، لكن ذلك لم يشتهر لدى الدارسين المعاصرين.

المطلب الثاني: صوت الهمزة

لكل صوت من أصوات اللغة مخرج أي موضع يخرج منه، وصفات تميزه عن غيره، ولم يختلف الدارسون في أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق من أول المخارج[١]، وإن فَضَّلَ المُحْدَثُونَ التعبير عن أقصى الحلق بمصطلح الحنجرة، ومِن ثَمَّ فإنهم يصفون الهمزة بأنها صوت حنجري[٢].

ويصف دارسو الأصوات المحدثون كيفية نطق الهمزة بالقول: (تُسَدُّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بهمزة القطع، وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تامّاً، فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأةً مُحْدِثاً صوتاً انفجارياً).

فالهمزة صوت حنجري أو وقفة انفجارية، لا هو بالمهموس ولا بالمجهور.

والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح، إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس[٣]. وهذا الوصف لنطق الهمزة لا يختلف عما قرَّره علماء العربية والتجويد من قبل في وصف الهمزة بالشدة التي يستخدم المحدثون مصطلح الصوت

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٣.

(٢) ينظر: كمال بشر: علم الأصوات ص١٨٥و١٩٢.

(٣) كمال بشر: علم الأصوات ص٢٨٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الانفجاري مكانها، ولكن سيبويه وصف الهمزة بالجهر[١]، وقد يكون هناك ما يسوِّغ له هذا الوصف، وإن كانت طبيعة نطق الهمزة لا تسمح بوصفها في الجهر.

وأدرك علماء اللغة العربية ما في نطق الهمزة من صعوبة، (لأنه بَعُدَ مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثَقُلَ عليهم ذلك، لأنه كالتهوع)[٢].

ولما كانت الهمزة على هذه الصورة من الثقل في النطق خَفَّفَها كثير من العرب، (وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفاً)[٣]. وقال ابن يعيش: التخفيف (هو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز... والتحقيق لغة تميم وقيس)[٤].

والهمزة المحققة صوت واحد، هو الصوت الحنجري الشديد، أما الهمزة إذا خُفِّفت أو سُهِّلَت فإنها تصير إلى عدة أشكال أو أصوات، لأن تخفيفها يكون بالإبدال والحذف، وأن تُجْعَلَ بين بين، أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها[٥].

قال ابن يعيش: (فالإبدال بأن تُزِيل نَبْرَتَهَا، فَتَلِين، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء، على حسب حركتها وحركة ما قبلها... وأما الحذف فأَنْ تُسْقِطَها من اللفظ البتة. وأما جعلها بين بين أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها...)[٦].

وليس الغرض في هذا المقام تفصيل صور تسهيل الهمزة، لأن ذلك يحتاج إلى مجال أوسع مما لا يتناسب مع سياق هذه المسائل، لكن من المفيد التأكيد على أن الهمزة إذا سُهِّلَتْ فإنها تُصَوَّر واواً أو ياءً أو ألفاً في كثير من أحوالها، وهذا قد يشير إلى الأصل الذي انحدر منه رسم الهمزة بأحد هذه الحروف الثلاثة.

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) سيبويه: الكتاب ٣/٥٤٨، وينظر: الإستراباذي: شرح الشافية ٣/٣١.

(٣) ابن الجزري: النشر ١/٤٢٨.

(٤) شرح المفصل ٩/١٠٧، وينظر: سيبويه: الكتاب ٣/٥٤١.

(٥) ينظر: سيبويه: الكتاب ٣/٥٤١.

(٦) شرح المفصل ٩/١٠٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا يعني تَحَوُّلُ الهمزة إلى أحد الأصوات الثلاثة عند تسهيلها وجود علاقة نطقية بين الهمزة وهذه الأصوات، فصوت الهمزة لا يتحقق إلاَّ بانطباق الوترين الصوتيين وحبس النَّفَس خلفهما ثم انفراجهما فجأة، فتحدث النبرة التي تشكل صوت الهمزة، وفي التسهيل لا يتحقق انطباق الوترين الصوتيين، ويتشكل الصوت الذي يخلف الهمزة من خلال الحركات التي تسبقها أو تلحقها، فيتشكل حرف من حروف المد الثلاثة أو أحد صوتي اللين، أعني الواو والياء، أو ما يقرب منهما.

المطلب الثالث: رسم الهمزة

قد لا يحتاج كثير من القراء إلى الوقوف على تفاصيل صور تسهيل الهمزة، لكنهم يحتاجون إلى معرفة كيفية كتابة الهمزة، والأسس التي تنبني عليها قواعد رسمها، ولعل مما يُسَهِّلُ فهم تلك الأسس الوقوف على البعد التاريخي لتطور رسم الهمزة، وربط ذلك بمذاهب العرب في نطقها.

وتقدَّم أنَّ رمز الهمزة القديم هو الألف، الذي اسْتُعْمِلَ للدلالة على المدة المتولدة عن الفتحة في ما بعد، وقد يكون تسهيل الهمزة وإبدالها إلفاً في بعض المواضع قد مَهَّدَ لهذا الاستعمال، كما في (رَأْس)، فإنه يُنْطَقُ في لغة من يسهل الهمزة (رَاس)، والرسم القديم للهمزة هو (ا) من غير رأس العين التي اخترعها الخليل للإشارة إلى تحقيق الهمزة.

ولمَّا كان للعرب مذهبان في نطق الهمزة: التحقيق والتخفيف، كان لهم مذهبان أيضاً في رسمها في الحقبة المتقدمة من صدر الإسلام، وربما كان ذلك موجوداً في العصر الجاهلي أيضاً، وهما:

(١) مذهب أهل التحقيق:

وهو مذهب قديم منقرض، لكن الشواهد التاريخية تشير إلى أنه كان مستعملاً في فترة ما، وكانت الهمزة ترسم فيه ألفاً حيث وَقَعَتْ وبأية حركة تَحَرَّكَتْ، وذكر الفَرَّاء في كتابه (معاني القرآن) أن مصاحف أهل الكوفة القديمة المنسوبة إلى عبد الله بن

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مسعود ـ ﷺ ـ أُجْرِيَ فيها رسم الهمزة على هذا المذهب، وذلك حيث قال: (وربما كَتَبَتْهَا العرب بالألف في كل حال... قال: ورأيتها في مصحف عبد الله (شيأ) في رفعه وخفضه بالألف، ورأيت يستهزئون: يستهزأون بالألف، وهو القياس)[١].

ونقل الزجاجيُّ عن الفراء قوله: (كان العلماء الأولون يكتبونها ألفاً في كل حال:، وإن توسطت، يلزمون الأصل في ذلك. وقد رأيتها في مصحف عبد الله مكتوبة ألفاً، متوسطة، على تَغَيُّرِ الحركات)[٢].

وقال ابن السراج: (إن القياس والأصل كان في الهمزة أن تكتب في كل موضع ألفاً)[٣].

(٢) مذهب أهل التسهيل:

وهو مذهب الذين يُخَفِّفُونَ الهمزة من العرب، فيرسمونها ألفاً في أول الكلمة، بأي حركة تحركت، لأنها لا تُخَفَّفُ في هذا الموضع، ويرسمونها بحسب ما تؤول إليه عند تسهيلها في وسط الكلمة أو آخرها.

قال ابن جني: (اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كُتِبَتِ الهمزة واواً مرة وياءً أُخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أُرِيدَ تحقيقُها البتةَ لوجب أن تُكْتَبَ ألفاً على كل حال)[٤].

ولمَّا كان القرآن الكريم قد نزل بلغة قريش، وهم أهل التسهيل، كُتِبَتِ الهمزات في المصحف على مذهبهم في الرسم، وكان أبو عمرو الداني قد قال: (إن أكثر الرسم ورد على التخفيف، والسبب في ذلك كونه لغة الذين وَلُوا نسخ المصاحف زمن عثمان ـ رحمه الله ـ وهم قريش... فلذلك ورد أكثر الهمز على التسهيل)[٥].

---

(١) معاني القرآن ٢/١٣٤، وينظر ٣/٣٠ و ٢/٢٣٠ و٣/١٣٦.

(٢) كتاب الخط ص٤٠.

(٣) كتاب الخط ص١١٧.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

(٥) المحكم ص١٥١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإذا كان القرآن قد نزل بلغة قريش، وكُتِبَ في المصحف على مذهبهم في التخفيف، فإن القرآن قُرئ بلغات العرب بناءً على الرخصة التي تضمنها حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، فكان (التَّمِيمِيُّ يَهْمِزُ، والقَرَشِيُّ لا يَهْمِزُ)[١]. وكان الذين يهمزون يقرؤون في المصاحف المرسومة على التسهيل، ولم يُغَيِّرُوا رسم الكلمات بناءً على قراءة التحقيق، لكنهم وضعوا علامة على مواضع تحقيق الهمزة، وكانت تلك العلامة نقطة بالصفرة توضع على الحرف الذي رُسِمَ مكان الهمزة، سواء كان ألفاً أو واواً أو ياء[٢]، وكان ذلك في المرحلة التي استعملت فيها طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات.

ولمَّا استعمل الخليل بن أحمد الحروف الصغيرة المأخوذة من حروف المد بَدَّلَ النقط الحمر التي كان الدؤلي قد استعملها للحركات، ووَضَعَ علامة للهمزة لتحل مكان النقطة الصفراء التي كانت تدل على الهمزة، واختار رأس العين لذلك، لأنها قريبة من الهمزة مخرجاً ونطقاً[٣].

وصار الرسم يجمع في كتابة الهمزة بين مذهب أهل التخفيف وأهل التحقيق، وانقرض مذهب أهل التحقيق في رسم الهمزة بالألف على كل حال، ولم يُغَيِّرِ العلماء رسم المصاحف العثمانية لتكون لدينا مصاحف مرسومة على مذهب أهل التحقيق في رسم الهمزة، ومصاحف مرسومة على مذهب أهل التخفيف، حفاظاً على الكِتْبَةِ الأولى التي كتبها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وجمعوا بين مذهبي الفريقين بإبقاء المصاحف مرسومة على مذهب أهل التخفيف، ثم وضع رأس العين علامة للتحقيق، وقال نصر الهوريني وأحسن القول: (المنظور له في الحروف لغة التخفيف، وفي الشكل لغة التحقيق)[٤].

---

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص٢٩.

(٢) ينظر: الداني: المحكم ص١٤٧و١٤٨.

(٣) ينظر: ابن درستويه: كتاب الكتَّاب ص٩٩، والإستراباذي: شرح الشافية ٣/٣٢٠.

(٤) المطالع النصرية ص١٠٣، ويريد بقوله (الحروف) الواو والياء والألف التي تُرْسَمُ فوقها الهمزة، ويريد بقوله (الشكل) علامة الهمزة وهي رأس العين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأحسب أن بيان مذاهب العرب في نطق الهمزة، ومذاهبهم في رسمها، يُقَرِّبُ فهم قواعد رسم الهمزة في كتابتنا اليوم، والتي تنبني على طريقة تخفيف الهمزة، وقد لا يتسع المقام لسرد قواعد رسم الهمزة هنا، ويمكن الاطلاع عليها في أي كتاب من كتب الإملاء[١].

وأجد من المفيد تذكير القارئ بطريقة عملية لتحديد موقع الهمزة من الحروف الثلاثة التي توضع علامة الهمزة عليها، أو بعدها، وهي امتحان موضع الهمزة بالعين، قال ابن وثيق: (وبالجملة فموضع الهمزة يُمْتَحَنُ بأن تبدل الهمزة في النطق عيناً، فحيث وقعت العين هو موضع الهمزة)[٢].

وإذا كتبتَ كلمة (قارئ) فالهمزة فوق الياء، لأنك تقول عند امتحانها بالعين (قارع)، وإذا كتبتَ كلمة (بريء) فالهمزة بعد الياء، لأنك تقول عند امتحانها بالعين (بريع)، وإذا كتبتَ (نَشأ) فالهمزة فوق الألف، و إذا كتبتَ (إنشاء) فالهمزة بعدها، وإذا كتبتَ (سُؤْل) فالهمزة فوق الواو، وإذا كتبتَ (رَءُوف) فالهمزة قبل الواو، وهي في المصحف بواو واحدة، كراهة اجتماع صورتين متشابهتين في الرسم، والأفضل رسمها في غير المصحف بواوين (رؤوف) طرداً للقاعدة، على نحو ما نرسم (مَسؤُول)، و(شؤُون)[٣]، وقِسْ على ذلك ما يعترضك من الهمزات في الرسم.

ومما يتعلق برسم الهمزة معرفة كيفية رسم همزة الوصل، والألف الممدودة.

وقد بيَّنتُ أن علامة الهمزة هي رأس العين (ء) التي توضع على أحد الحروف الثلاثة: الواو والياء والألف، أو على السطر، بحسب موقعها من الكلمة وما يَحِفُّ بها من الحركات، وتوضع عادة فوق الياء والواو بأيِّ حركة تحركت، وتوضع فوق الألف إذا كانت مفتوحة أو مضمومة (أَ أُ لأَ لأُ) وتحتها إذا كانت مكسورة (إ لإ).

---

(١) كنت قد سردت قواعد رسم الهمزة في كتابي: علم الكتابة العربية ص١٤٩ ـ ١٧٠.

(٢) الجامع ص١٥٣.

(٣) يرسم البعض هذه الكلمات بواو واحدة، ويضع الهمزة قبل الواو على الياء (مسئول) و(شئون)، وهو مذهب شائع في ما يُطْبَعُ في مصر من مطبوعات، ورسمها بواوين هو القياس.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أما همزة الوصل فعلامتها المشهورة في الكتابة صاد غير مُعَرَّقَةٍ ولا مُحَقَّقَةٍ مأخوذة من كلمة (وصل)[١]، توضع فوق الألف، ولم يضعوا عليها الحركات اكتفاء بالنطق. وكثيراً ما يحذف الكُتَّاب في زماننا علامة همزة الوصل (أ) من فوق الألف، وهو أمر مقبول، لكن وضع رأس العين على ألفات الوصل يعد خَطَأً يجب الحرص على تجنبه.

وأما الألف الممدودة في أول الكلمات، وهي الهمزة التي بعدها ألف، فَتُرْسَمُ في غير رسم المصحف بوضع علامة المدة على الألف، هكذا (آخَر)، وهذه العلامة مأخوذة من كلمة (مـد)[٢]، لكن الألف الممدودة في رسم المصحف لا توضع عليها هذه العلامة، وإنما ترسم بهمزة بعدها ألف هكذا ﴿ءَاخَرَ﴾ [الحجر: ٩٦]، وتوضع علامة المد في المصحف على حروف المد الثلاثة إذا وقع بعدهن همزة، سواء كان ذلك من كلمة أو من كلمتين، كما في قوله تعالى في البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

المطلب الرابع: وظيفة الهمزة

الهمزة أحد حروف العربية الثمانية والعشرين، ولها دورها في بناء الكلمات، شأنها شأن الحروف الأخرى، وهي أحد حروف الزيادة العشرة، كما أنها تؤدي وظيفة التوصل إلى النطق بالساكن، ومن المفيد تلخيص هذه الوظائف التي تؤديها الهمزة في اللغة العربية، على النحو الآتي:

(١) تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية

ويعني ذلك أن أصل الكلمات يتألف من ثلاثة حروف، وتقوم الحركات وحروف الزيادة بتشكيل الصيغ منها لتوليد المعاني، كما أشرتُ إلى ذلك من قبل،

(١) ينظر: ابن درستوية: كتاب الكُتَّاب ص٩٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٩٩، والداني: المحكم ص٥٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عند الحديث عن دور الحركات في بناء الكلمات في العربية. ويُسَمَّى الحرف الأول من الأصل الثلاثي فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة.

وتكون الهمزة أحد أصول الكلمة الثلاثية، فتقع فاء للكلمة في مثل: أَخَذَ، وأَمَرَ، وأَسَرَ، وتقع عيناً في مثل: سَأَلَ، ورَأَسَ، وزَأَرَ، وتقع لاماً في مثل: قَرَأَ، وبَرَأَ، ودَرَأَ. وبلغت مواضع مشاركة الهمزة في الأصول الثلاثية للكلمة العربية (٧٥٦) موضعاً، بنسبة مقدارها (٣٠.٣١٧٪)، وتحتل الموقع السابع عشر في الترتيب التنازلي لحروف الجذور الثلاثية، وبلغ عدد مرات وقوعها:

١. فاء الكلمة: ٣١٠.

٢. عين الكلمة: ٢٠٤.

٣. لام الكلمة: ٢٤٢.

وذلك وفقاً للدراسة الإحصائية لجذور معجم تاج العروس، التي قام بها الدكتور علي حلمي موسى، والدكتور عبد الصبور شاهين، بواسطة الحاسب الآلي[١].

(٢) دور الهمزة في حروف الزيادة

من وسائل العربية في توليد الصيغ للدلالة على المعاني زيادة بعض الحروف على الأصل الثلاثي، مثل: فاعل، ومفعول، وحروف الزيادة في العربية عشرة جمعوها في عبارة (سألتمونيها)[٢].

وأكثر ما تُزَاد الهمزة في أول الكلمة إذا كانت رابعة فصاعداً، ومن أشهر أمثلة زيادة الهمزة زيادتها للدلالة على معنى التعدية في الفعل الثلاثي، فيكون على وزن (أفْعَلَ)، نحو: أَحْسَنَ، وأخرج، وأكرمَ. وتزاد أيضاً في أول مصادر هذه الأفعال: فيقال: إحسان، وإخراج، وإكرام[٣].

---

(١) ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس ص٧٥و٧٧و٧٩.

(٢) ينظر: الإستراباذي: شرح الشافية ٢/٣٣٠.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/٢٣٥و٣٠٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وللهمزة مواضع أُخرى تزاد فيها لتؤدي وظائف نحوية، كما في أول الفعل المضارع المسند إلى المتكلم، في مثل: أَكْتُبُ، وأذْهَبُ، وأَخْرجُ، ونحوها.

(٣) دور الهمزة في التوصل إلى النطق بالساكن:

من خصائص العربية أنها لا يُبْدَأُ فيها بالحرف الساكن، وإذا أدَّى اشتقاق الصيغ إلى وجود ساكن في الكلمة زيدت همزة محركة في أولها للتوصل إلى النطق بالساكن، فلو أخذنا فعل الأمر من الفعل (يَكْتُبُ) فحذفنا حرف المضارعة، وبنينا الفعل بالسكون، لنتج عندنا (كْتُبْ) بسكون الكاف، ولا يتيسر النطق بالسكون في أول الكلمة، فَتُجْتَلَبُ همزة محركة في أوَّلِهِ، فيصير (اكْتُبْ) وتسمى هذه الهمزة بهمزة الوصل، أو ألف الوصل، لكن علماء العربية يضعون على الألف رأس الصاد، مكان رأس العين.

ولزيادة هذه الهمزة في العربية مواضع، فهي تزاد في حرف واحد، هو (ال) التي للتعريف، وفي عشرة أسماء منها: ابن، وابنة، واسم، واثنان، واثنتان، وامرؤ، وامرأة. وكذلك في أوائل الأفعال الماضية التي تأتي على وزن (افتعل)، و(انفعل) و(افعلَّ) و(استفعل)، ومصادرها، نحو: اجتهد اجتهاداً، وانكسر انكساراً، واحمرَّ احمراراً، واستغفر استغفاراً[1].

أما حركة همزة الوصل فهي:

١. مفتوحة في (ال).

٢. مكسورة في الأفعال الماضية ومصادرها، إلا إذا بنيت الأفعال للمجهول فإنها تتبع حركة الحرف الثالث نحو انْطُلق واسْتُغْفِرَ.

٣. مكسورة في الأسماء العشرة.

٤. تتبع حركة همزة الوصل في فعل الأمر حركة الحرف الثالث من الفعل، فإذا كانت مكسورة أو مفتوحة كانت همزة الوصل مكسورة، مثل: اضْرِبْ، وافْتَحْ،

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٤٤ ـ ١٤٦، وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/١٢٦ ـ ١٢٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وٱسْتغْفِر، وٱجْتَهِد، وٱنْطلِقْ. وتكون مضمومة إذا كانت حركة الحرف الثالث مضمومة، كما في مثل: ٱكْتُب، وٱنْصُر.

وجاءت همزة الوصل مكسورة في أفعال الأمر الآتية في مثل: ٱمْشُوا، وٱقْضُوا، وٱبْنُوا، مع أن ثالث الأفعال مضموم، وذلك لأن هذه الضمة ليست أصلية على الحرف الثالث، لأن أصل هذه الأفعال: ٱمْشِيُوا، وٱقْضِيُوا، وٱبْنِيُوا، ونظراً لوقوع الياء بين الكسرة والضمة، أُسقطت الياء والكسرة التي قبلها، وبقي ثالث الفعل مضموماً، وبنيت حركة همزة الوصل على الضمة التي كانت في الحرف الثالث، قبل حصول الحذف.

وإذا دخلت همزة الوصل على فعل أوله همزة كالأمر من (أتى) فإن همزة الفعل تقلب ياء، فيقال (ٱيتِ)، فإن تقدَّم همزة الوصل كلام سقطت همزة الوصل، وعادت الهمزة إلى أصلها، فيقال: قُلْتُ له ٱئْتِ[1].

** ** **

(١) ينظر: في حركة همزة الوصل: الداني: الألفات ومعرفة أصولها ص٣٥٣و٣٦٨و٣٦٩.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الرابعة
ظواهر صوتية ونطقيه متفرقة

ورد في أسئلة الأستاذ منصور مجموعة أسئلة حول قضايا تتعلق بظواهر صوتية تعرض للأصوات اللغوية، أو ظواهر نطقية تخص الأصوات عند النطق بها في الكلام، وهي تتعلق بموضوعات متعددة من موضوعات علم الصوت، يصعب جمعها في أبواب معينة، وسوف أتناولها لذلك بصورة مفردة، كل موضوع في مطلب مستقل، وهي: القلقلة، والغنة والتنوين، وأل الشمسية والقمرية:

المطلب الأول: القلقلة

القلقلةُ لغةً: مصدر الفعل قَلْقَلَ الشيءَ، أي حرَّكه فتحرك واضطرب[1]، والقلقلة في الاصطلاح: نَبْرَةٌ أو صُوَيْتٌ يتبعُ عدداً من الحروف إذا كانت ساكنة أو وُقِفَ عليها بالسكون، وهي في الوقف أقوى من الوصل.

وتَتَرَتَّبُ ظاهرة القلقلة على طبيعة إنتاج تلك الأصوات التي تتطلبُ حَبْسَ النَّفَس في المخرج لحظة ثم إطلاقِه، فيندفع النَّفَسُ حينئذ بقوة بشكل يُشْبِهُ النبرة، ويحدث ذلك مع الأصوات الشديدة أو الانفجارية، ولا يتأتَّى النطق بمثل هذه الأصوات نطقاً كاملاً ما لم يتبعها ذلك الصُّوَيْتُ، الذي شبَّهَهُ بعض الدارسين بالحركة المختلسة[2].

ومصطلح القلقلة قديم في التراث الصوتي العربي، فقد استعمله سيبويه، ووصف به خمسة أحرف هي: القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء وقال إن هذه الحروف ضُغِطت من مواضعها فإذا وقفتَ عليها خرج معها من الفم صُوَيْتٌ

(١) لسان العرب ١٤/٨٥ (قلل).

(٢) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٣٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ونبا اللسان عن موضعه[١].

وأضاف بعض العلماء الكاف إلى حروف القلقلة[٢]، وأضاف بعضهم صوت التاء[٣]، لكن جمهور العلماء من القدماء والمحدثين يخصون الحروف الخمسة بصوت القلقلة، نظراً لضعف الصوت الذي يتبع الكاف والتاء، لأنهما صوتان مهموسان ومنفتحان، فَضَعُفَ الصوت الذي يتبعهما لذلك.

ولعلماء العربية والتجويد والأصوات مناقشات حول مسألتين:

المسألة الأولى: ما ذهب إليه البعض من أن القلقلة لا تكون إلا في الوقف، لكن الجمهور يرون أنها تحدث في الوصل والوقف[٤]، حتى قال بعضهم: (ومَن خصها بالوقف دون الوصل فقد وَهِمَ)[٥]. فإذا نطقنا كلمة (الأبْوَابْ) وجب قلقلة الباء الأولى والباء الثانية، لكن قلقلة الباء الثانية أقوى من الأُولى، لأن الوقف على الحرف يزيده قوة.

والمسألة الثانية: تقسيم القلقلة إلى درجات، فقد قسَّم بعض المتأخرين القلقلة إلى صغرى عند الوصل، وكبرى عند الوقف، لكن بعض المعاصرين جعلوا القلقلة ثلاث درجات:

١. كبرى: عند الوقف على المشدد من الحروف الخمسة مثل: الحقّ، وتَبّ.

٢. وسطى: عند الوقف على غير المشدد من الحروف الخمسة مثل: مُحِيطْ، مَرِيجْ، حريق، شَديدْ.

٣. صغرى: عند نطق أحد الحروف الخمسة وهي ساكنة في الوصل، مثل: مَدَدْنَا، وخَلَقْنا، ويَجْمعون، ويَطْبَع.

---

(١) ينظر: الكتاب ٤/١٧٤.

(٢) المبرد: المقتضب ١/١٩٦.

(٣) المرعشي: جهد المقل ص١٤٩.

(٤) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤.

(٥) الصفاقسي: تنبيه الغافلين ص٣٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي دراسة حديثة تطبيقية لظاهرة القلقلة في الأداء القرآني[١]، أثبتت أن المتوسط العام للقيمة الزمنية لصوت القلقلة المصاحب للصوت المقلقل ـ أيّاً كان نوعه ـ عندما ورد متطرفاً موقوفاً عليه بالسكون في نهاية كاملة حوالي (٠,٢٤) من الثانية.

وبلغ المتوسط العام للقيمة الزمنية لصُوَيْتِ القلقلة المصاحب للصوت المقلقل ـ أيّاً كان نوعه ـ عندما ورد ساكناً في وصل الكلام نحواً من (٠,١٢) من الثانية.

وبلغ المتوسط العام للقيمة الزمنية لصُوَيْتِ القلقلة المصاحب لصوت القلقلة ـ أيّاً كان نوعه ـ عندما ورد متحركاً في وصل الكلام نحواً من (٠,٠٦٢) من الثانية[٢].

وأثبتت الدراسة أن القلقلة الناتجة عن الوقف على الصوت الساكن المقلقل المشدد أقوى رتبة في الوقف وأكثر كمية بيد أنها ليست أطول زمنا من نظائرها التي اشتملت على صوت مفرد من أصوات القلقلة[٣].

ويتضح من خلال هذه النتائج صحة قول علماء السلف: إن القلقلة عند الوقف أوضح منها عند الوصل، لأن زمنها ضعف زمن المتوسط كما هو ظاهر، أما ما ورد عند بعض المعاصرين من تقسيم القلقلة على ثلاث مراتب فإن الدراسة لم تؤيد وجود ثلاث مراتب زمنية للقلقلة بل مرتبتان صغرى وكبرى، ولكنها أثبتت أن قلقلة الحرف المشدد الموقوف عليه أقوى رتبة وأكبر كمية، ولعل ذلك بسبب التشديد.

المطلب الثاني: الغنة والتنوين

الغُنَّةُ لغة: صوتٌ في الخيشوم، والأَغَنُّ الذي يَخْرُجُ كلامُهُ من خياشيمه، والأَغَنَّ من الغِزْلان وغيرها الذي في صوته غُنَّةٌ، ويقال: أَغَنَّ الذُّبابُ صَوَّتَ، ورَوْضةٌ

(١) عنوان الدراسة: القيمة الكمية والزمنية لصُوَيْتِ القلقلة في الأداء القرآني، للدكتور يحيى بن علي بن يحيى المباركي، منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٨، السنة ١٤١٩هـ (ص١٧٢ ـ ٢٥٦).

(٢) ينظر: المباركي: القيمة الكمية والزمنية ص٢١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٢١٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

غَنَّاءُ تمر الريح فيها غير صافية الصوت[١]، والخيشوم خَرْق الأنفِ المنجذب إلى داخل الفم[٢].

والتنوينُ مصدر الفعل نَوَّنَ، يقال: نَوَّنَ الاسمَ إذا ألحقه التنوين[٣]، والتنوين نون ساكنة، وقد (جرت عادة القراء بالنص على التنوين مع أنه مندرج في قولهم: النون الساكنة، وإنما أفردوه بالذكر لأنه يسقط خطأً بخلاف غيره من أقسام النون الساكنة)[٤].

وقال القاضي زكريا الأنصاري: (فالنون الساكنة تثبت لفظاً وخطّاً، ووصلاً ووقفاً، متوسطة ومتطرفة، وتكون في الأسماء والأفعال والحروف، والتنوين نون ساكنة زائدة تلحق الآخر لفظاً لا خطاً، ووصلاً لا وقفاً، لغير توكيد، ولا تكون إلا في الأسماء)[٥].

ونظراً إلى أن التنوين نون زائدة تلحق الأسماء، ولا تثبت في الوقف فإن كُتَّاب العربية الأوائل لم يرسموه نوناً، وإنما وضعوا له علامة بتكرار حركة الحرف الذي يسبقه، مثل: هذا كتابٌ، واشتريت كتاباً، ونظرت في كتابٍ، ولو كتبنا هذه الأمثلة على اللفظ لكانت هكذا: كِتَابُنْ، وكِتَابَنْ، وكِتَابِنْ، لكن ذهاب التنوين عند الوقف جعل كُتَّاب العربية يخصصون له علامة، ولم يرسموه نوناً.

والغُنَّة اصطلاحاً الصوت المصاحب لنطق النون والميم، وهو يجري من الخيشوم أو الأنف، والأصوات الأنفية في العربية صوتان هما: النون والميم.

ويحتاج نطق الصوت الأغن، الذي تصاحب عملية نطقه غنة من الخيشوم،

---

(١) لسان العرب ١٩١/١٧ (غنن).

(٢) الداني: التحديد ص١١٥.

(٣) لسان العرب ٣١٩/١٧ (نون).

(٤) المرادي: المفيد ص١١١.

(٥) تحفة نجباء العصر ص٥١ ـ ٥٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إلى اعتراض النفس في الفم، وذلك بإطباق الشفتين مع الميم، ووضع طرف اللسان على اللثة مع النون، ثم ينخفض أقصى سقف الفم بما فيه اللهاة، فينفتح طريق النَّفَسِ إلى الأنف، مع اهتزاز الوترين الصوتيين فينتج عن ذلك نغمة حنجرية هي التي تشكل قوة الإسماع في صوتي النون والميم، بحيث لو أوقف الناطق اهتزاز الوترين عند النطق بهما لتحول الصوت إلى نفس غير مسموع[١].

ولا تنفكُّ الغنة عن النون والميم إلاَّ إذا أُدغما في غيرهما إدغاماً كاملاً، كما في مثل ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾، و ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ حيث تنطق (مِرْ) و (مَلْ). وفي ما سوى ذلك فالغنة باقية فيهما، سواء كانا متحركين أو ساكنين مشدَّدين أو مخففين، ظاهرين أو مخفيين، لكن غنة المشدَّد أكمل من غنة المخفف، وغنة المُخْفَى أطول من غنة المظهر، وغنة الساكن أبين من غُنَّة المتحرك، ومتى انعدمت الغنة زال صوت النون أو الميم من النطق. هذا هو مذهب جمهور علماء العربية والتجويد[٢].

وللنون الساكنة والتنوين مع الحروف أربعة أحكام تكفلت ببيانها كتب التجويد، ويعتني بها أهل الأداء، وهي جزء من خصائص النطق العربي، وتتلخص في:

(١) الإظهار، قبل حروف الحلق: ء هـ ع ح غ خ.

(٢) الإدغام، قبل حروف (يرملون)، ويكون إدغام الراء واللام بغير غنة، والأربعة الباقية بغنة.

(٣) القلب إلى حرف الميم قبل الباء.

(٤) الإخفاء قبل الحروف الباقية، وعددها خمسة عشر حرفاً، تستطيع أن تتبينها بإسقاط الحروف السابقة من الحروف الثمانية والعشرين.

ويمكن تعريف الإخفاء بأنه استتار مخرج النون في مخرج الحرف الذي بعدها، فَتَنْطَقُ النون من مخرج ذلك الحرف، أي أن الناطق يضع لسانه في مخرج الحرف

(١) ينظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٠ ـ ١٤١، وكمال بشر: علم الأصوات ص٣٤٨.

(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص٢٦٤ ـ ٢٦٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

اللاحق لها وتبقى غنة النون تخرج من الأنف، حتى إذا استوفت حظها من النطق أوقف الناطق جريان النفس من الأنف ونطق الحرف الذي بعدها من غير أن يُغَيِّرَ موضع لسانه، كما في نطق النون قبل الذال في (مَنْ ذا)، وقبل الكاف في (مَن كان)، وقبل الفاء في (أنفسكم)، وهكذا مع بقية حروف الإخفاء.

ويُقَدَّرُ زمن النطق بالغنة بحركتين، أي مقدار المد الطبيعي[١]، والحركة تُقَدَّرُ برفع الإصبع أو خفضه بحالة متوسطة ليست بالسريعة ولا بالبطيئة، ولا شك في أن الأداء العملي لهذه الأحكام يعتمد على التلقي الشفهي من المعلم المتقن. وللموضوع تفصيلات تعرضت لها كتب التجويد وكتب علم الأصوات، وسبق لي أن تناولتها في بعض ما كتبته، ولكني آثرت الإيجاز بما يوضح حقيقة الغنة، وطبيعة التنوين.

المطلب الثالث: أل الشمسية والقمرية

هذا الموضوع له علاقة بظاهرة الإدغام بين الحروف، والإدغام جزء من ظاهرة أوسع هي ظاهرة المماثلة الصوتية، وتتلخص في أن الأصوات عندما تتجاور في السلسلة الكلامية تميل إلى التماثل في الخصائص النطقية أو الصفات الصوتية، وقد يصل التماثل إلى حد إبدال حرف بحرف مجاور له.

ويعتمد حصول الإدغام على عوامل في مقدمتها مقدار القرب بين الحرفين المتجاورين، وما في كل من الحرفين من صفات القوة والضعف، ويقتضي ذلك الإلمام بمخارج الحروف وصفاتها، وهو موضوع واسع، تكفلت بتفصيله والحديث عنه كتب علماء العربية والتجويد وعلم الأصوات، وسوف أكتفي هنا بالإشارة إلى ما يساعد في فهم موضوع إدغام (أل) وإظهارها.

ومن المفيد للقارئ الاطلاع على جدول بمخارج الحروف، على نحو ما قَرَّرَهُ سيبويه وتابعه عليه كثير من علماء اللغة العربية المتقدمين[٢]، ولم يغير فيه المحدثون

(١) ينظر: الحداد: تحفة الراغبين ص٦.

(٢) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٣، والداني: التحديد ص١٠٢ ـ ١٠٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إلا الشيء القليل، ولا يزال هذا الجدول صالحاً لاعتماده في دراسة الظواهر الصوتية وتحليلها، وسوف أبدأ بذكر مخارج الشفتين ثم ما يليها من المخارج حتى تبلغ أقصى الحلق، وإن كان سيبويه قد بدأ بأقصى الحلق، و معظم الدراسات الصوتية الحديثة تبدأ بذكر مخارج الشفتين لأنه أوضح للدارس:

مكان المخرج	رقم المخرج	حروف المخرج	الوصف
الشفتان	١	ب م و	قمري
	٢	ف	قمري
طرف اللسان	٣	ث ذ ظ	شمسي
	٤	س ص ز	=
	٥	د ت ط	=
	٦	ر	=
	٧	ن	=
	٨	ل	=
حافة اللسان ووسطه	٩	(ض)	=
	١٠	ج ش ي	ش (شمسية) ج ي (قمرية)
أقصى اللسان	١١	ك	قمري
	١٢	ق	=
الحلق	١٣	غ خ	=
	١٤	ع ح	=
	١٥	ء هـ	=
الخيشوم	١٦	(الغنة)	لا تلتقي مع اللام

إن جدول مخارج الحروف يبين موقع اللام بين حروف العربية، وهو موقع متوسط، فإذا دخلت (أَلْ) التي للتعريف، وهي مُكَوَّنَةٌ من همزة وصل مفتوحة ولام

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ساكنة على الأسماء، تَوَقَّفَ حكم إدغام اللام وإظهارها على بُعْدِ الحرف وقربه منها.

فتدغم اللام في جميع حروف طرف اللسان، ومعنى إدغامها انقلابها إلى مثل الحرف الذي دخلت عليه، وتشديد الحرفين، وأُدغمت اللام في الشين مع أنه من حروف وسط اللسان، ولكن صفة التفشي فيه تقرِّبه من اللام، ومن ثم أُدغمت اللام فيه، فنقول (الشَّمس)، ويكون النطق هكذا (أَشَّمس) وذلك بقلب اللام شيناً وإدغامها في اللام.

وسُمِّيت الحروف التي تدغم فيها اللام بالحروف الشمسية، أي أن حكم اللام فيها مثل حكمها في كلمة الشمس، وكذلك سميت الحروف التي تظهر اللام عندها بالحروف القمرية، لأن اللام في كلمة (الْقمر) يُنْطَقُ بها ساكنة ظاهرة، وكذلك الحروف الأخرى.

والحروف القمرية تشمل الحروف البعيدة عن مخرج اللام، من حروف الشفتين، وحروف وسط اللسان وأقصاه، وحروف الحلق.

وعدد الحروف القمرية أربعة عشر حرفاً، وعدد الحروف الشمسية أربعة عشر حرفاً، وذلك إذا عددنا اللام حرفاً شمسياً في مثل (الليل)، فالإدغام حاصل بين اللامين حتماً، وبعضهم لا يعده من الشمسية لعدم انقلاب اللام.

والأمثلة على الحروف الشمسية و القمرية كثيرة، وقد قالوا: وذكر أسماء الحروف يُغْنِي عن ذكر الأمثلة، يعنون قول القائل: الباء التاء الثاء الجيم الحاء... الخ.

ويَحْسُنُ التذكير بوجوب العناية بنطق اللام قبل الجيم، فالجيم صوت قمري، لكن ألسنة العامة (عندنا في الأقل) تجعله شمسياً، والصواب أنه قمري فيجب إظهار اللام في مثل: الجامع، الجنة، الجبال.

وعلامة اللام الشمسية في المصحف إخلاؤها من السكون، ووضع شدة على الحرف الذي بعدها، وعلامة اللام القمرية وضع سكون عليها، وعدم تشديد الحرف الذي بعدها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الخامسة
الفُصحَى والعَامِيّة

كلمة (الفُصْحَى) صيغة تفضيل، مؤنث (أفْصَح)، من باب أَفْعَل و فُعْلَى، مثل: أكْبَرُ وكُبْرى، وأحْسَنُ وحُسْنى. وهي تستعمل في وصف اللغة العربية الجارية على القواعد، وهي لغة القرآن، والجيِّد من كلام العرب من شعر ونثر.

والفَصَاحَةُ البيانُ، وفَصُحَ الرجل فهو فصيح، إذا جادت لغته حتى لا يَلْحَنَ[١].

والعامِيَّةُ نسبة إلى العامَّةِ، والعامَّةُ ضِدُّ الخاصَّةِ، يُقال: عَمَّهم الأمر يَعُمُّهُمْ عموماً: شَمِلَهُم، فهو عامٌّ[٢].

والعامِيُّ من الكلام: ما نَطَقَ به العامَّةُ، على غير سَنَن الكلام العربي، والعامِيَّةُ لغة العامة ضد الفصحى[٣].

والفُصحى أو اللغة العربية الفصحى: لغة القرآن والأدب، خلاف العامية[٤].

ويتميَّز واقعنا اللغوي بهذه الثنائية اللغوية: العامية والفصحى، العامية في البيوت والأسواق ومجالس الراحة، والفصحى في التعليم والتأليف وفي الصحافة والإعلام، بدرجات متفاوتة من حيث الإجادة والضبط، فكثيراً ما تطغى العامية على الألسنة، أو تترك آثارها على الفصحى في مواقف الكلام الجادة، لأنها اللغة التي ترسخت في النفوس مع النشأة الأولى فصارت طبيعة وسليقة، والعربية الفصحى نتعلمها تعلماً بعد أن تكون العامية قد أخذت مكانتها الراسخة في النفوس، وقد يُفْلِحُ التعليم في إجادة الفصحى، وقد تبقى رواسب العامية تزاحم

(١) ينظر: لسان العرب ٣/٣٧٧ (فصح).
(٢) المصدر نفسه ١٥/٣٢١ (عمم).
(٣) المعجم الوجيز ص٤٣٥.
(٤) المعجم العربي الأساسي ص٩٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصحى وتُشَوِّهُ جمالها، وتَحُولُ دون تحقيق رسالتها.

ويُسْتَعْمَلُ مصطلح (اللهجة) في الدراسات اللغوية الحديثة للدلالة على معنى (اللغة العامية)، وكان علماء العربية يستعملون كلمة (لغة) للدلالة على لهجات القبائل العربية، فيقولون لغة قريش، ولغة قيس، ولغة تميم... الخ.

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات.

وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات، هي التي أَصْطُلِحَ على تسميتها باللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، فاللغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات، ويتركز ما بين لهجات اللغة الواحدة من اختلاف في الجانب الصوتي أكثر مما يتعلق بالكلمات والجمل[1].

وتتقاسم الناطقين بالعربية اليوم مئات اللهجات، إن لم تكن آلاف اللهجات، ففي كل قرية أو مدينة لهجة أو أكثر، لكن هذا العدد الضخم من اللهجات لا يمنع الناطقين بها من التفاهم، وإذا كَثُرَتِ الفوارق اللهجية لتباعد البلدان فإن العربية الفصحى تُسْعِفُ الناطقين بتلك اللهجات وتُخَفِّفُ من عوائق التفاهم.

ويَعُدُّ البعض هذه القضية من أصعب المشكلات التي تواجهها العربية الفصحى في العصر الحديث، ويخشى البعض من أن تحل تلك اللهجات محل العربية الفصحى، وتؤول هي إلى الزوال.

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص١٦ ـ ١٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا بد للمرء أن يتساءل أمام هذا الواقع اللغوي الذي تعيشه العربية اليوم: هل اختصت العربية بهذه الثنائية أو الازدواجية من دون اللغات الأخرى؟ وهل من سبيل للتخلص من هذه الثنائية أو الحد من تأثيرها على الفصحى؟ وما مستقبل العربية في ظل هذا الوضع اللغوي القائم اليوم؟

إن قضية اللغة من القضايا الكبرى في حياة الأمة، وهي تعني اللغويين والمفكرين والسياسيين، ومن ثم فإنني في هذه العجالة لا أهدف إلى عرض المشكلات أو تقديم الحلول، أو التنبؤ بالمُغَيَّبات، وإنما أريد الإشارة إلى جملة من الحقائق يمكن أن تبعث على الاطمئنان من جانب على مستقبل اللغة، وتدفع من جانب آخر إلى الأخذ بالوسائل التي تُخَفِّفُ من آثار المشكلات، وتعين على تجاوز العقبات، ولا شك في أن المجامع اللغوية والهيئات العلمية والمؤسسات الرسمية تعمل منذ أمد بعيد في هذا المجال، ولا تكون جهود الأفراد بديلاً عما تقوم به تلك الجهات من خطط ومشاريع وأعمال للحفاظ على اللغة العربية والتمكين لها في حياتنا العامة والخاصة.

وأهم الأمور التي يلزم ذكرها في هذا المجال ما يأتي:

(١) الازدواجية[١] اللغوية ظاهرة عالمية:

الازدواج اللغوي ظاهرة لغوية عامة لا تختص باللغة العربية، لكن اللغات تتفاوت في مقدار الفجوة بين العامية والفصحى، فتقل في بعض اللغات، وتزداد وتتنوع في لغات أخرى، وهناك مجال واسع للعمل على التخفيف من الفجوة بين العربية الفصحى وعامياتها من خلال جهود الأفراد والمؤسسات، لكن ردم تلك الفجوة بالكامل غاية تتناقض وطبيعة اللغات البشرية[٢].

---

(١) الازدواجية: تعني وجود اللهجات (والعاميات) بجانب اللغة الفصحى، والثنائية تعني استعمال لغتين ليس بينهما رابطة في مجتمع واحد، مثل العربية والانكليزية، أو العربية والفرنسية.

(٢) عُقِدَت ندوة علمية متخصصة عن (الازدواجية في اللغة العربية) بالتعاون بين قسم اللغة العربية في الجامعة الأردنية ومجمع اللغة العربية بعمان. للفترة من ٢١ ـ ٢٣ /نيسان=

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

(٢) الازدواج اللغوي في العربية قديم

تشير الدراسات اللغوية العربية القديمة والحديثة أن اللغة العربية لم تكن موحَّدَة في يوم من الأيام، منذ عصر ما قبل الإسلام، والعصور اللاحقة، شأنها في ذلك شأن اللغات الأخرى، حين تنتشر في بقعه جغرافية واسعة، ولم يمنع ذلك من أن تكون العربية لغة عالمية وأن تُسْتَعْمَلَ لغة للحضارة والدين.

(٣) سقوط ذريعة الازدواج اللغوي

تعرضت اللغة العربية لحملة واسعة ومنظمة في القرنين الماضين تدعو إلى ترك العربية الفصحى وإحلال العاميات مكانها، بحجة أن الازدواج اللغوي سبب من أسباب التخلف الحضاري، وأن تقدُّم الأمة يتوقف على التخلي عن استعمال الفصحى واستعمال لغة الشعب اليومية. لكن تلك الدعوات ذهبت أدراج الرياح لأنها لم تكن مبنية على أسس علمية، بقدر ما كانت تعبيراً عن أغراض سياسية أو تبشيرية، لم تَخْفَ على أهل العربية الذين لم تكن العربية الفصحى سبباً لعللهم الاجتماعية والحضارية، بل وجدوا أن التمسك بالعربية المشتركة الفصحى ضرورة حضارية وقومية، لأن كثرة اللهجات في البلد الواحد تمنع من اتخاذ واحدة منها لتحل محل الفصحى، وليس هناك أفضل من العربية الفصحى يجمع الشتات المتنوع والمتعدد للعاميات في البلاد العربية[1].

(٤) ارتباط العربية بالقرآن الكريم أهم عوامل بقائها

اللغات البشرية دائمة التغير والتطور، وينتج عن ذلك بمرور الوقت زوال لغات واندثارها، وظهور لغات تحل مكانها، وعرفت البشرية عشرات اللغات التي لم يبق منها سوى رسوم على أحجار المباني القديمة، لا يعرف قراءتها سوى قلة من المتخصصين باللغات القديمة.

= ١٩٨٧م. ونشرت وقائع الندوة في مطبعة الجامعة الأردنية سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

(١) من أوسع ما اطلعت عليه حول الدعوة إلى العامية كتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر) للدكتورة نفوسة زكريا سعيد، مطبعة دار نشر الثقافية بمصر ١٩٦٤م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويبدو أن قوانين التطور اللغوي وقفت عاجزة أمام العربية، بعد أن تشرفت بنزول القرآن الكريم بها، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: (غير أن العربية لها ـ كما قلنا ـ ظرف لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم، ذلك أنها ارتبطت بالقرآن، منذ أربعة عشر قرناً، ودُوِّن بها التراث العربي الضخم، الذي كان محوره هو القرآن الكريم في كثير من مظاهره، وقد كفل الله لها الحفظ، مادام يحفظ دينه، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، ولولا أن شرفها الله ـ عز وجل ـ فأنزل بها كتابه، وقيَّض له من خلقه من يتلوه صباح مساء، ووعد بحفظه على تعاقب الأزمان ـ لولا كل هذا لأمست العربية لغة أثرية، تشبه اللاتينية أو السنسكريتية، ولسادت اللهجات العربية المختلفة، وازدادت على مر الزمان بعداً عن الأصل الذي انسلخت عنه.

هذا هو السر الذي يجعلنا لا نقيس العربية الفصحى، بما يحدث في اللغات الحية المعاصرة، فإن أقصى عمر هذه اللغات، في شكلها الحاضر، لا يتعدى قرنين من الزمان، فهي دائمة التطور والتغير، و عرضة للتفاعل مع اللغات المجاورة، تأخذ منها وتعطي، ولا تجد في ذلك حرجاً، لأنها لم ترتبط في فترة من فترات حياتها بكتاب مقدس، كما هو الحال في العربية...

فهذه العربية الفصحى، التي استمرت حية أربعة عشر قرناً، والتي ستسمر في حياتها إلى ما شاء الله، تستمد من ارتباطها بالقرآن الكريم عنصر الحياة)[2].

(٥) دَوْرُ المُعَلِّم

للمعلِّم دَوْرٌ كبيرٌ في تنشئة جيل يجيد العربية الفصحى ويحبها، ويسمو على خصوصيات العامية وآثارها. خاصة مُعَلِّمَ المرحلة الابتدائية الذي تتربى أجيال الأمة على يديه، فكما أنه يمكنه أن يغرس في نفوس تلاميذه الأخلاق الفاضلة، ويُذْكِي في نفوسهم حُبَّ العلم والمعرفة يمكنه كذلك أن يُقَوِّمَ ألسنتهم، ويُخَلِّصَهَا من لُكْنَةِ

(١) سورة الحجر: ٩.

(٢) في التطور اللغوي ص٧ ـ ٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

العاميات، ويُقَرِّبَ إليهم العربية الفصحى ويُحَبِّبَهَا لهم، ويُرَسِّخَ في نفوسهم أساليبها الرفيعة، ويَجْعَلَهُم يتذوقون جيد القول وفصيح الكلام.

وينبغي أن يُعَدَّ المُعَلِّمُ لهذه المهمة إعداد خاصّاً، حتى يتمكن من القيام بها على أفضل وجه، يقول الدكتور إبراهيم أنيس، رحمه الله: (فَلْنَعْمَلْ إذن على تكوين ما أُسَمِّيهِ بالمدرس الخاص، أي الذي يصلح للتدريس في بيئة معينة من البيئات العربية، يكون قد درس دراسة علمية صحيحة عاداتها الصوتية، تلك العادات التي كوَّنتها لهجة الكلام فيها، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم، ثم يكون مع هذا على علم تام بخصائص النطق النموذجي الذي نهدف إليه والذي نرجو أن ينتظم كل البيئات العربية، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجة الكلام في كل بيئة، وتلك الصفات الصوتية التي ستتم المواضعة عليها في النطق النموذجي للغة الفصحى)[1].

ولا يتوقف الأمر عند إجادة النطق بالفصحى والتعبير بها، والارتفاع بمستوى النطق العامي ليقترب منها، فهذا جانب مما يجب القيام به تجاه لغتنا العربية الفصحى، وهناك جوانب أُخرى مهمة في مقدمتها استعمال العربية للتعبير عن العلوم الحديثة، والاستجابة لمتطلبات الحياة المعاصرة، فلا تزال الجامعات العربية تُدَرِّسُ كثيراً من العلوم الحديثة بغير العربية، ولا تزال تتدفق على مجتمعاتنا مئات الكلمات الأجنبية المعبرة عن منتجات الحضارة الحديثة، فالمجتمعات العربية صارت تستورد المصنعات الحديثة من الدول الأجنبية وتستورد معها الكلمات الأجنبية الدالة عليها. وتأتي محاولات المجامع اللغوية لوضع المصطلحات العربية لتلك الأشياء متأخرة في الغالب.

ومع أن شواهد التاريخ تبعث على الأمل في مستقبل اللغة العربية، لكن النظر في الواقع اليوم يدعو إلى بذل الكثير من الجهود ليتحسن حال اللغة العربية في المستقبل، والله ولي التوفيق.

---

(١) في اللهجات العربية ص٣١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة السادسة
الطريقة المثلى لتعليم القراءة والكتابة

يرتبط النشاط اللغوي للإنسان بأربع مهارات أو مَلَكَاتٍ لغوية، هي:[١]

١. الاستماع.

٢. التعبير الشفوي (الكلام).

٣. القراءة.

٤. التعبير التحريري (الكتابة).

ويشترك جميع البشر الأسوياء بالمهارتين الأولى والثانية، فالناس جميعهم يتكلمون ويستمعون في كل العصور وفي جميع البلدان، وهم يكتسبونهما في مرحلة الطفولة من الأبوين ومن المحيط الذي يعيشون فيه، لكن الذين لديهم القدرة على استعمال المهارتين الثالثة والرابعة أعني القراءة والكتابة يتفاوت عددهم من زمان إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى.

وانقضى وقت طويل قبل أن يخترع البشر الكتابة، فالله سبحانه وتعالى خلق الناس ومنحهم القدرة على استعمال اللغة، أما الكتابة فقد جاء اختراعها في وقت لاحق، والكتابة وسيلة لتسجيل اللغة، وهي مفتاح التعلم والتعليم، وترقت الحضارة البشرية بعد اختراع الكتابة، لأنها مَكَّنَتِ البشر من الإفادة من خبرات الأجيال السابقة ومعارفهم.

وإذا كانت مَلَكَةُ التعبير ينشأ عليها الناس منذ طفولتهم، من غير حاجة للذهاب إلى مدرسة أو الجلوس بين يدي معلم، فإن الكتابة والقراءة تحتاج إلى تعليم، وأُنْشِئَتِ المدارس لتعليم الناس القراءة والكتابة عند مختلف الأمم، والحديث المفصل عن هذا الجانب من تاريخ البشرية يحتاج إلى مجال واسع، والذي يعنينا

(١) ينظر: عبد المجيد سيد أحمد منصور: علم اللغة النفسي ص٢٣١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الحديث عنه هنا هو الوقوف على أهم الطرق التي سلكتها الأجيال التي سبقتنا في تعليم الكتابة العربية وقراءتها، وأيها أولى بالاعتماد، وهو ما وقع السؤال عنه من الأخ الأستاذ منصور.

وغاية الكتابة تمثيل أصوات اللغة، وذلك باستعمال رموز خطية منظورة بالعين، لتمثيل الأصوات المسموعة بالأذن، وتتفاوت الكتابات البشرية في مقدار دقتها في الدلالة على أصوات اللغة، والقاعدة الأساسية في هذا المجال هي تخصيص رمز واحد لصوت لغوي واحد، لكن بعض الكتابات لا تتطابق صور الكلمات المكتوبة فيها مع أصواتها المنطوقة بسبب عوامل تاريخية ولغوية مرت بها تلك الكتابات أو لغاتها.

وتُعَدُّ الكتابة العربية مثالية من هذا الجانب، فلكل صوت رمز واحد أو علامة كتابية واحدة، إذ إنها استكملت الرموز الدالة على أصوات اللغة منذ وقت مبكر بعد الإسلام، على نحو ما أشرنا في موضوع الحركات والعلامات المستعملة في الكتابة العربية للدلالة عليها، والأصل في الإملاء العربي مطابقة المرسوم للمنطوق، بتقدير النطق بالكلمة مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، وما في الكتابة العربية من استثناء لتلك القاعدة شيء يسير بالقياس إلى ما في الكتابات الأخرى، فما فيها من زيادة أو حذف أو بدل يمكن حصره على المتعلم بسهولة، ولا يشكل عقبة في سبيل تعلم الكتابة العربية وضبطها وقراءتها.

وتقدمت في زماننا طرائق تعليم العلوم، وظهرت نظريات حول طرق تعليم الكتابة العربية للمبتدئين، وحول طرق تعليم قواعد اللغة العربية في المراحل المتعددة، ولا تخلو التطبيقات لتلك النظريات من إشكالات، لأن الشكوى مستمرة من ضعف الأداء اللغوي، ومن ضعف المتعلمين في امتلاك المهارات اللغوية من كتابة وتعبير وقراءة صحيحة، ولا يتسع المقام لعرض تلك النظريات، وهي موضع عناية من لدن المتخصصين بطرائق تدريس علوم العربية، لكن قد يكون الحديث عن طرائق تعليم الكتابة والقراءة للمبتدئين أولى من الحديث عن المراحل الأخرى، لأنه

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يمثل الأساس الذي تنبني عليه المهارات اللغوية في المراحل اللاحقة من عمر المستخدم للغة.

واللغة العربية لها تجربة عريقة ومتميزة في التاريخ، ولعلماء اللغة العربية فضل في تعليم العربية وكتابتها لأبناء الأمة وغيرهم من المسلمين الذين دخلوا في دين الله أفواجاً، منذ العصور الإسلامية الأولى حتى زماننا الحاضر. ومما يدعو للوقوف عند تلك التجربة العريضة الناجحة، مع قلة المعلومات المتوفرة عنها، ما تعرضت له طرائق التعليم القديمة من انتقاد من بعض المحدثين، وتحميل تلك الطرق مسؤولية التخلف اللغوي الذي ضرب أطنابه على أهل العربية في زماننا.

وسوف أتحدث عن أمثل الطرائق لتعليم القراءة والكتابة العربية للمبتدئين من خلال مطلبين، الأول: عن طرائق التعليم في التراث العربي، والثاني: عن طرائق التعليم الحديثة.

المطلب الأول: طرائق تعليم القراءة والكتابة في التراث العربي

انتقل العرب بفضل الإسلام إلى أمة متحضرة تحرص على التعلم والتعليم، وقد شَجَّعَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصحابة على تعلم القراءة والكتابة، واستعمل عدداً منهم في كتابة الوحي وشؤون الدولة الأخرى، واستمر هذا الاهتمام بالقراءة والكتابة في الدولة الإسلامية في مختلف عصورها، وجميع أمصارها، وظهرت المؤلفات في شتى العلوم والمعارف.

وليس لدينا معلومات مفصلة عن الطرائق التي كان المعلمون يسلكونها في تعليم الناشئة القراءة والكتابة، ويبدو أنهم كانوا يبدؤون بتعليمهم حروف الهجاء التي تجمعها كلمات (أبجد هوَّز حطِّي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ)، فقد كانت هذه الكلمات معروفة في صدر الإسلام، وهي إمام الكُتَّاب كما وصفها بعض اللغويين، ووضعت لدلالة المتعلم على الحروف، كما تقدم عند الحديث على الترتيب الأبجدي للحروف.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وظهر الترتيب الألفبائي للحروف العربية في وقت مبكر أيضاً بعد تنقيط الحروف المتشابهة في الصورة على يد نصر بن عاصم الليثي، وهو مبني على جمع الحروف المتشابهة في الرسم في سياق واحد، تيسيراً على المتعلمين بحصر أشكال الحروف، وهي: أ ب ت ث ـ ج ح خ ـ د ذ ـ ر ز ـ س ش ـ ص ض ـ ط ظ ـ ع غ ـ ف ق ـ ل ك ـ م ن ـ هـ و ي، ويبدو أن هذا الترتيب حل مكان الترتيب القديم في تعليم الحروف.

وأخبار المعلمين في تراثنا ليست قليلة، لكن الحديث عن طرائقهم في التعليم ليست معروفة كثيراً، وكان لكل بلد أو عصر مذهب في تعليم الناشئة، وهذا ابن خلدون يتحدث عن مذاهب أهل الأمصار الإسلامية مشرقية ومغربية في تعليم الناشئة في زمانه، ومن المفيد نقل بعض ما قاله في هذا المجال في الفصل الواحد والثلاثين من الفصول التي خصصها للعلوم وأصنافها والتعليم وطرقه في كتابه القيّم (المقدمة) التي صَدَّرَ بها كتابه الحافل في التاريخ.

قال ابن خلدون في الفصل الواحد والثلاثون: في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه:

(اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم... وصار القرآن أصل التعليم... واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان واختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات:

فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله... إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة...

وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكِتَاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لمَّا كان القرآن أصل ذلك وأُسَّهُ ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم الولدان رواية الشعر في الغالب وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والكتاب، ولا تختص عنايتهم بالخط أكثر من جميعهما، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرَّز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة...

وأما أهل أفريقية فيخلطون في تعليمهم القرآن بالحديث ومدارسة قوانين العلوم... وعنايتهم بالخط تبع لذلك، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى أهل الأندلس...

وأما أهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا، ولا أدري بم عنايتهم منها، والذي ينقل لنا أن عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة، ولا يخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراده، كما تُتَعَلَّمُ سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان...)[1].

وواضح من كلام ابن خلدون عناية أهل الأمصار الإسلامية بتعليم الناشئة القراءة والكتابة وإجادة الخط، إلى جانب تلقين القرآن الكريم، قبل الاشتغال بالعلوم الأخرى والترقي فيها، ولا بد أن يكون ذلك التعليم يجري على طرائق معروفة، وقد أشار ابن خلدون الذي عاش إلى أوائل القرن التاسع الهجري إلى أن أهل المشرق عندهم لتعليم الخط قانون ومعلمون له، لكنه لم يوضح ذلك.

واشتهرت في العصور المتأخرة طريقة لتعليم الكتابة والقراءة تصاحب تعليم الناشئة للقرآن الكريم، تعرف بالقاعدة البغدادية، لعلها القانون الذي أشار إليه ابن خلدون، وهي في خمس عشرة صحيفة أو لوحة، تُطْبَعُ عادة مع الجزء الثلاثين من المصحف[2]، وقد اعْتَمَدَتْ بعض الكتب التعليمية على تلك القاعدة في تقديم دروس عملية لتعليم حروف الهجاء العربية[3]، ويبدو أن القاعدة النورانية مشتقة

---

(١) المقدمة ص٥٣٧ ـ ٥٣٩.

(٢) مثل: قاعدة بغدادية وجزء عمَّ، دار الخير، بيروت ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

(٣) مثل كتاب: مختصر الطريق الصحيح لمخارج الحروف وسُلَّم لقراءة القرآن الكريم، إعداد عبد العزيز حافظ عمر حافظ، الطبعة الثانية، المدينة المنورة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م. =

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

منها أيضاً[١].

وتتدرج القاعدة البغدادية بذكر حروف الهجاء مفردة على الترتيب الألفبائي، هكذا: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ء ي، وأورد بعض من ذكر هذه القاعدة اسم الحرف مع رسمه.

ثم ترد الحروف مركبة مع الفتحة أولاً، هكذا: اَ بَ تَ ثَ جَ...، ثم مركبة مع الحركات الثلاث هكذا: اَ اِ اُ بَ بِ بُ...، ثم مركبة مع التنوين هكذا: اً اٍ اٌ بً بٍ بٌ...، ثم مركبة مع اللام ألف والشدة المفتوحة هكذا: اَلاَّ بَلاَّ تَلاَّ...، ثم مركبة مع النون والياء، ثم مع الألف والنون والواو والنون والياء والنون، ثم مركبة مع حروف أخرى في جداول أو قوائم، حتى تصل إلى ذكر كلمات وجمل من القرآن وغيره، وتُخْتَتَمُ القاعدة البغدادية بكلمات الأبجدية الثمانية (أبجد هوز...) التي تجمع حروف العربية على النسق القديم.

وتتضمن الكتب التي اعتمدتْ على القاعدة البغدادية في تعليم حروف الهجاء العربية أمثلة تطبيقية لطريقة تهجية المقاطع أو الكلمات الواردة في القاعدة أو غيرها، وتستند على ذكر اسم الحرف والحركة التي معه أو حرف المد أو الشدة أو التنوين، لتشكيل مقطع تنبني عليه المقاطع التالية له في الكلمة، على النحو الآتي:[٢]

كَتَبَ: كاف فتحة: كَـ، تا فتحة: تَـ:كَتَـ، با فتحة: بَـ = كَتَبَ.

كُتِبَ: كاف ضمة:كُـ، تا كسرة: تِـ:كُتِـ، با فتحة: بَـ = كُتِبَ.

= ومثل كتاب: اقرأ، منهج تعليمي لتجويد القرآن الكريم، إعداد سهيلة عبد الله (أم أحمد)، الطبعة الأولى، البحرين ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

(١) القاعدة النورانية، تأليف الشيخ نور محمد حقاني (ت١٣٤٣هـ)، عني بتحقيقه المهندس محمد فاروق الراعي، الطبعة الأولى، جدة ١٤١٩هـ.

(٢) ينظر: نور محمد حقاني: القاعدة النورانية ص ٢٩ ـ ٣١، وسهيلة عبد الله: اقرأ ص ٥٣ و٥٥ و٥٧و٦٥ و٦٦ و٧٣..

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خَوْفٍ: خا فتحة واو سكون: خَوْ، فا كسرتين: فِن = خَوْفٍ.

ءَامَنَ: همزة فتحة ألف:ءا، ميم فتحة: مَ، ءامَ، نون فتحة: نَ = ءَامَنَ.

وليس للقاعدة البغدادية مكان في كتب التعليم الابتدائي الرسمي اليوم، وتكاد تنحصر في الكتيبات والكراسات التي تُدَرَّسُ في حلقات التعليم في المساجد ونحوها، سواء كانت للصغار أو للكبار، وقد تَحَدَّثَ عدد ممن لهم اطلاع على التعليم في تلك الحلقات عن نجاح هذه القاعدة في تعليم القراءة والكتابة العربية، يقول الدكتور علي عمر با دحدح المحاضر بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وهو يُقَرِّظُ القاعدة النورانية: (إن التجربة العملية تُثْبِتُ أن مثل هذا النوع من الكتب وطريقتها المتبعة في التهجي تُلَيِّنُ اللسان بالنطق، وتُعَلِّمُ معرفة الحركات والضبط، وتُعَرِّفُ بالترابط بين الحروف، وتَكُونُ ثَمَرَتَها نطقٌ صحيحٌ فصيحٌ، وقدرةٌ متميزة على القراءة عامة وقراءة القرآن خاصة، وقد ظهرت هذه النتائج في الأعاجم غير الناطقين بالعربية، وكذلك في الصغار منذ نعومة أظفارهم وعند بدء قدرتهم على النطق)[1].

ومن الكُتَّاب المعاصرين من انتقد الطريقة الهجائية التي تقوم عليها القاعدة البغدادية في تعليم القراءة والكتابة، في إطار الترويج للطريقة الصوتية الحديثة، وتتلخص السلبيات التي نسبها إليها في ما يأتي:

١. (إن لكل حرف ولكل حركة اسماً، وهذا الاسم يحتوي على أصوات غير الصوت المرموز إليه بذلك الحرف والحركة، فحرف الـ(ج) مثلاً يسمى بالـ(جيم)، ففي هذا الاسم يوجد زيادة على صوت الـ(ج) الذي يدل عليه الحرف صوتان آخران هما اللذان يقابلان حرفي(ي) و(م)، وكذلك حرف الـ(غ) يسمى الـ(غين) وفي هذا الاسم يوجد زيادة على صوت الـ(غ) الذي يدل عليه الحرف ثلاثة أصوات أخرى، هي: الصوت الذي يرمز إليه بالفتحة، والصوتان اللذان يكتبان بحرفي (ي) و(ن).

لذلك إذا بوشر تعليم الحروف بأسمائها يصعب جداً على أذهان المتعلمين

(١) القاعدة النورانية ص ٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الانتقال من تلك الحروف إلى الكلمات التي تتألف منها، فمتى علمنا الحروف بأسمائها نضطر أن نقول حينما نريد أن نهجي كلمة (جاموس) مثلاً: (جيم ألف:جا)، (ميم واو: مو)، (مو سين: موس)،: (جا موس). ومن الأمور البديهية أن المشابهة والمناسبة بين لفظة (جيم ألف) ولفظة (جا) بعيدة جداً، كما أنها بعيدة بين لفظة (ميم واو) ولفظة (مو)، وبين لفظة (مو سين) و(موس) أيضاً، لذلك لا يمكن للطفل أن يعرف عقلاً أن مجموع حرفي (جيم ألف) يجب أن يلفظ (جا)، ولا أن يستنتج أن مجموع حرفي (ميم واو) يجب أن يلفظ (مو). وعلاوة على ذلك ليس من السهل على ذهن الطفل أن يستدل على أن (غين واو) يجب أن يلفظ (غو)، ولو بعد تعلمه أن جيم واو تلفظ جو، ونون واو تلفظ نو، لأننا إذا فكرنا بصورة منطقية نجد أن إضافة الـ(غين) إلى الـ(واو) يجب أن ينتج منه لفظة (غين واو)، ولو عرفنا وسلمنا بأن الواو تلفظ (ثو) فدخول الـ(غين) عليه يجب أن يولد (غينو).

وفي هذه الحالة لا يبقى لعقل التلميذ سبيل إلى تعلم القراءة سوى حفظ كل هجاء ومقطع على حدة، ولا شك أن هذا يكون حملاً ثقيلاً عليه بقدر ما هو عقيم في حد ذاته، لذلك في بداية تعليم الألف باء يجب التوقي من ذكر أسماء الحروف والاكتفاء بتعريف أصواتها فقط، أما أسماء الحروف فلا تعلم إلا بعد أن يتعلم التلميذ جميع الحروف ويتمرن على القراءة تمرينا جيداً[٢]).

٢ .(إن الطريقة القديمة تقضي بتعليم الحروف كلها في بادئ الأمر ثم الابتداء بالأهجئة التي تتألف من هذه الحروف، وفي الأخير الشروع بالكلمات التي تتألف من تلك الحروف وهذه الأهجئة.

فهذه الطريقة تؤدي إلى إضاعة أوقات الأطفال وقواهم بلا جدوى، لأنهم يتعلمون الحروف ـ في بادئ الأمر ـ من غير رابطة تربط بعضها ببعض، فلا يتمكنون من حفظها إلا بصعوبة عظيمة، وعندما يشتغلون بحفظ بضعة حروف جديدة ينسون ما

(١) ساطع الحصري: طريقة تعليم الألفباء ص١٥ ـ ١٦، و٢١ ـ ٢٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كانوا قد تعلموه قبلاً، ولا يتوصلون إلى حفظ صور الحروف حفظاً جيداً إلا بعد أن يباشروا تركيبها وتأليف أهجئة وكلمات منها، ويكونون من هذه الوجهة قد أضاعوا أوقاتهم وصرفوا قواهم إلى ذلك الحين، بلا فائدة تذكر.

فعلى المعلم أن يبادر إلى تعليم الكلمات من بادئ الأمر، من غير أن ينتظر تعليم جميع الحروف، فكلما عَلَّمَ حرفاً جديداً أضافه إلى الحروف التي كان عَلَّمَها قبلاً، وأَلَّفَ منها كلمات مختلفة وعبارات متنوعة.

فباختيار المعلم لهذه الطريقة يكون قد ربط الحرف الجديد بالحروف السابقة ورَكَّبَهَا معها، وقد كرر تلك الحروف وذَكَّرَ بها الأطفال وهي مرتبطة بعضها ببعض، فكلما تقدمت الدروس استقرت الحروف ورسخت في أذهان التلاميذ من جراء هذا التكرر الذي يقع بصورة متوالية وأشكال مختلفة.

ونزيد على ذلك أن تعليم الحروف والأصوات بصورة مجردة ومنفردة لا يلذ للأطفال ولا يشوقهم قطعاً، فهم لا يسرون بدروس الألفباء ولا يشتاقون إليها إلا عندما يتوصلون إلى قراءة كلمات مفيدة يفهمون معانيها، لذلك عند اختيار طريقة (تعليم الحروف ثم الأهجئة ثم الكلمات) تكون الدروس مملة ومزعجة في بادئ الأمر، مع أن التلاميذ يحتاجون إلى التشويق والتنشيط في بداية دراستهم أكثر مما يحتاجون إليه بعد ذلك. وأما عند اختيار طريقة (تعليم الحروف والأهجئة والكلمات معاً) فتكون الدروس جذابة وخلابة من أول أوانها، فالأطفال يتعلمون قراءة بضع كلمات في أول دروسهم، ويتوصلون في كل درس إلى قراءة عدة كلمات أخرى، فيقطفون ثمرات سعيهم بسرعة، ومن ثم يتلذذون بالدروس من بدايتها)[1].

٣.(كانت العادة الجارية في تعليم الحروف اتباع الترتيب المعروف: ا ب ت ث ج...إلخ، ولكن يجب أن لا يغرب عن البال أن هذا الترتيب ما هو إلا ترتيب عِنْدِيٌّ واصطلاحي، وُضِعَ في القرن الأول من الهجرة بالنسبة إلى مشابهة الحروف ليس إلا،

(١) المصدر نفسه ص١٢ ـ ٢٣.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهو ليس الوحيد في بابه، إذ إن هناك ترتيباً آخر متعارفاً في بلاد المغرب لا يشبه هذا الترتيب إلا إلى حرف الزاي، ويختلف اختلافاً كلياً بعد هذا الحرف: ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي.

ولو كان من المفيد بل من الضروري اتباع الترتيب المعروف في القواميس والمعاجم، لأنه هو المتفق والمصطلح فيها، فلا يوجد ثمة داع إلى التقيد بهذا الترتيب في تعليم الألفباء، بل بالعكس هناك عدة أسباب تدعو إلى ترك هذا الترتيب واختيار ترتيب خاص لأجل تعليم الحروف:

أولاً: إن العقل يقضي بتقديم الحروف السهلة على الصعبة وبتعليم الحروف المنفصلة قبل المتصلة، مع أن الترتيب المعروف يقدم بعض الحروف الصعبة والمتحولة، مثل: ج خ، على الحروف المنفصلة، مثل: ر د و، كما أنه يقدمها على كثير من الحروف التي هي أسهل منها بكثير، مثل: ط ل.

ثانياً: إن مبدأ (تعليم الحروف مع الكلمات) يقضي بالابتداء من الحروف التي هي أكثر استعمالاً من غيرها، مع أن بعض الحروف التي هي من هذا القبيل، مثل: و ي هـ ك، تقع في أواخر الترتيب، فليس في الإمكان تأليف كثير من الكلمات قبل معرفة هذه الحروف.

لذلك يجب عدم مراعاة الترتيب المصطلح عليه والمعروف، بل تعليم الحروف حسب ترتيب خاص، نظراً إلى سهولة صورها من جهة، وكثرة استعمالها من جهة أخرى، أما الترتيب المتعارف فَيُعَلَّمُ بعد إكمال الألفباء، يعني تعليم جميع الحروف)[1].

إن التركيز على ذكر السلبيات في طريقة التعليم الموروثة دون الحديث عن الإيجابيات القصد منه تزهيد المعلمين والمتعلمين بها، والترويج للطريقة الصوتية الحديثة، وإلا فإن بعض ما يُعَدُّ من سلبيات الطريقة القديمة يُمَثِّلُ ميزات مفيدة إذا أُحْسِنَ استعمالها، ويمكن مناقشة ما ذُكِرَ من السلبيات في النقاط الآتية:

(١) المصدر نفسه ص٢٣ ـ ٢٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١. إن أسماء الحروف تتضمن القيمة الصوتية للحرف في أول الاسم دائماً، وإذا ما أُفْهِمَ المتعلمون أن صوت الحرف يظهر في أول اسم الحرف لم تعد هناك مشكلة في تحفيظهم أسماء الحروف على الترتيب المعروف، وتهجية المقاطع الصوتية بذكر أسماء الحروف، وقد تكون في تهجية كلمة (جاموس) طول أو تعقيد، لكن تهجية المقاطع المكونة من حروف الهجاء والحركات الثلاث سهلة وجذابة للأطفال، مثل: كُتِبَ: كاف ضمة: كُـ، تا كسرة: تِـ: كُتِ، با فتحة: بَـ = كُتِبَ.

٢. لا يلزم أن تستمر هذه الطريقة في التهجية إلى آخر الشوط، فيمكن أن تستعمل في المقاطع الصوتية القصيرة، وبعد أن تتمكن ألسنة المتعلمين من القراءة للكلمات ذات المقاطع القصيرة مع جميع الحروف، وبعد أن تستجيب أيديهم لرسم تلك الكلمات يمكن الانتقال إلى تهجية الكلمات ذات المقاطع الطويلة التي تتضمن حروف المد والتنوين والمدات ونحوها، من غير ذكر اسم الحرف، ويُكْتَفَى باللفظ بصوته.

وليس في هذه الطريقة إضاعة لأوقات الأطفال بلا جدوى، كما قد قيل، بل فيها ما يرسخ أسماء الحروف وأصواتها في الذهن، فبعد الفراغ من سرد أسماء الحروف كاملة، يعود المتعلم لنطقها في المقاطع الصوتية القصيرة، فلا يند عنه منها شيء، ثم يعود إليها مرة ثالثة في المقاطع الصوتية المركبة أو الكلمات القصيرة، ثم في الكلمات الطويلة، وأحسب أن في ذلك اقتصاداً في الوقت اللازم لتعلم القراءة والكتابة بحروف العربية.

٣. إن ترتيب الحروف الهجائية ليس ترتيباً اعتباطياً، بل هو مبني على جَمْعِ الحروف المتشابهة في الصورة في صعيد واحد، مما يُسَهِّلُ على المتعلم تذكر تلك الحروف، ومِن ثَمَّ فليس من الضروري البحث عن ترتيب آخر لتعليم الحروف، بدعوى سهولة رسم بعضها وشيوع استعمال البعض الآخر.

وإذا أمعنا النظر في كتاب (قراءتي) للصف الأول الابتدائي المعتمد في المدارس الرسمية العراقية، (طبعة سنة ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م)، وهو امتداد لكتب

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

(القراءة الخلدونية) لأبي خلدون ساطع الحصري المؤسس للطريقة الجديدة لتعليم الحروف العربية، لوجدنا الترتيب الآتي للحروف، مع تركيبها في كلمات، وبعض التمرينات المصاحبة:

د، ا، ر، و، ب، ن، م، ي، ـَ، ق، ز، ـِ، ـّ، ـُ، ل، ف، أ، ء، إ، ط، ـٌ، آ، ال، ت، لا لأ، س، ع، ى، ش، ئ، ذ، ك، هـ، ة، ص، ح، غ، ـِ، ض، ج، ث، خ، ظ، آ.

إن هذا الترتيب محض اجتهاد، وليس هناك ما يمنع من تقديم حرف أو تأخير آخر، بدعوى السهولة والشيوع، وهناك نقيصة خطيرة في هذا المنهج التعليمي، وهو عدم التوازن في تكرار الحروف على المتعلم، فالحروف الأولى في الترتيب السابق يكثر تكرارها، بينما لا تتكرر الحروف الأخيرة على المتعلم إلا في صفحة واحدة، فالضاد مذكور في ص ٩٨، والجيم في ص ١٠٠، والثاء في ص ١٠١، والخاء في ص ١٠٢ و١٠٣، والظاء في ص ١٠٥.

وإذا تمكن المعلم من إكمال المنهج فإن الحروف الأخيرة في الترتيب السابق ستظل غير راسخة في ذهن المتعلم، وإذا حصل ما يمنع المعلم من تعليم الحروف الأخيرة فإن ذلك يعني حصول خلل كبير في مستقبل هؤلاء التلاميذ التعليمي، لأن المعلم في الصف الثاني لن يطيل الوقوف وهو يراجع الحروف نطقاً ورسماً، ويظل كثير من هؤلاء التلاميذ المساكين يعانون من ضبط نطق الحروف ورسمها سنين كثيرة.

ويعاني الترتيب السابق للحروف نقيصة خطيرة أخرى، وهو تأخر تعليم الحركات والعلامات الأخرى، مما يترتب عليه ضعف في تصور دور هذه العلامات، وقد ينتقل التلميذ إلى الصف الثاني وهو غير متقن لنطق الحركات مع الحروف، وقد ينهي المرحلة الابتدائية وهو يعاني من هذا الخلل، وقد يصل إلى المرحلة الجامعية وهو لا يميز بين(كُتِبَ، وكَتَبَ، وكُتُبٌ).

وليس من هدفنا هنا الحديث المفصل عن هذه الجوانب، لكن الذي حملنا على

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

التعرض لذكر هذه السلبيات النقد الذي وُجِّهَ إلى طريقة تعليم القراءة والكتابة بالاعتماد على تعليم أسماء الحروف الهجائية، وثم تركيب الحركات معها، والتدرج في تعليم المقاطع الصوتية حتى الوصول إلى الكلمات، وسوف نعود لتقويم كل من الطريقتين القديمة(الهجائية) والحديثة(الصوتية) في تعليم حروف الهجاء بعد أن نعرض الطرائق الحديثة في التعليم.

المطلب الثاني: الطرائق الحديثة في تعليم القراءة والكتابة

عُنِيَ المهتمون بالتعليم بتطوير طرق تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، وظهرت عدة طرق وأساليب لذلك، يمكن إرجاعها إلى بضعة نماذج أساسية[(١)]:

١. إن تعليم الألفباء يكون إما بالسير من الحروف إلى الكلمات، وإما بالسير من الكلمات إلى الحروف، فالطريقة تكون تركيبية في الحالة الأولى، وتحليلية في الحالة الثانية.

٢. وتعليم الحروف يكون إما بذكر أسمائها، وإما بإظهار أصواتها، فالطريقة تكون هجائية في الحالة الأولى، وصوتية في الحالة الثانية.

٣. وعلى كل الأحوال فالتعليم يكون إما قراءة ثم كتابة، وإما كتابة ثم قراءة، وإما كتابة وقراءة في وقت واحد.

ويمكن تصنيف جميع الطرائق التي استخدمت في تعليم القراءة للمبتدئين إلى طريقتين أساسيتين، هما الطريقة التركيبية، والطريقة التحليلية، ولكل طريقة من هذه الطرائق مزايا وعيوب، كما يتضح من العرض الآتي:[(٢)]

أولاً: الطريقة التركيبية

وهي تبدأ بتعليم الجزئيات، كالبدء بتعليم الحروف الهجائية بأسمائها، أو بأصواتها، ثم تنتقل بعد ذلك إلى تعليم المقاطع والكلمات والجمل التي تتألف منها.

(١) ينظر: ساطع الحصري: طريقة تعليم الألفباء ص١١ ـ ١٢.

(٢) ينظر: علي أحمد مدكور: تدريس فنون العربية ص ١٥٠ ـ ١٥٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أي أن هذه الطريقة تبدأ من أصغر وحدات ممكنة وتنتقل إلى الوحدات الأكبر، ولما كانت الجزئيات لا معنى لها بذاتها فإن هذه الطريقة لا تركز في البدء على المعنى.

وهناك طريقتان تندرجان تحت ما يسمى بالطريقة التركيبية، هما:

١. الطريقة الهجائية:

وهي تقوم على تعليم الطفل الحروف الهجائية بأسمائها بالترتيب (ألف، باء، تاء، ثاء، جيم...ياء) قراءة وكتابة، وهي تشبه الطريقة البغدادية التي تحدثنا عنها من قبل.

ويقوم المعلم بتعليم الأطفال نطق هذه الحروف مفتوحة ومكسورة ومضمومة، ثم يعلمهم الشدة والسكون وحروف المد والتنوين، ثم ينتقل المعلم إلى ضم حرفين منفصلين لتتألف منهما كلمة، ثم ضم ثلاثة حروف منفصلة لتكوين كلمة أخرى، وهكذا يؤلف كلمات أطول، ومن الكلمات تتكون جمل قصيرة وطويلة.

٢. الطريقة الصوتية:

تبدأ هذه الطريقة بتعليم الطفل أصوات الحروف بدلاً من أسمائها بحيث ينطق بحروف الكلمة أولاً على انفراد، ثم ينطق بالكلمة موصولة الحروف دفعة واحدة، وهو يتدرج في ذلك، فبعد أن يتدرب الطفل على أصوات الحروف الهجائية ويجيد نطقها مضبوطة فتحاً وضمًّا وكسراً، يبدأ المعلم في تدريب الطفل على جمع صوتين في مقطع واحد، ثم ثلاثة أصوات...وهكذا ينتهي إلى تأليف الكلمات من الأصوات، ثم تأليف الجمل من الكلمات.

وهذه الطريقة تتفق مع الطريقة الهجائية في الأساس وهو البدء بالجزء، وتخالفها في أن الطريقة الهجائية تعنى بتعليم أسماء الحروف، أما الطريقة الصوتية فترى أن تعليم أسماء الحروف يعوق الطفل في عملية تركيب الكلمة والنطق بها. وقد يمزج بعض المعلمين بين الطريقتين، بحسب الموقف التعليمي.

وللطريقة التركيبية مجموعة من المزايا أهمها ما يأتي:

١. أنها لا تكلف المبتدئ مشقة كبيرة لبساطتها، فالحروف الهجائية محدودة في

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عددها، وليس من الصعب حفظها والربط بينها وبين أصواتها.

٢. أنها تتفق مع المنطق، حيث يحدث التدرج والانتقال من الجزء إلى الكل ومن الحروف إلى الكلمات، ثم إلى الجمل.

٣. أنه متى أتقن الطفل تَعَلُّمَ الحروف وأصواتها فإنه يستطيع أن يتعرف على جميع الكلمات، لأنها تتألف من هذه الحروف، وفي هذا توفير للوقت والجهد.

ولا تخلو الطريقة التركيبية في نظر الدارسين من عيوب، من أهمها ما يأتي:

١. أن أسماء الحروف الهجائية لا تعني شيئاً بالنسبة للطفل، ولا ترتبط بأشياء لها معنى لديه ارتباطاً طبيعياً.

٢. لا يستطيع الطفل تعلم القراءة بمجرد نطق أسماء حروف الكلمة، إذ ينبغي أن يتوصل بطريقة ما إلى نطق الكلمة ككل، وهذا ما ينبغي أن تنتهي إليه الطريقة الهجائية إذا أريد للتلميذ أن يتعلم القراءة. وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نبدأ بالكلمة ونؤجل تهجيتها إلى مرحلة تالية؟

٣. الأطفال الذين يتعلمون بالطريقة الهجائية قد يجيدون النطق بالكلمات لأنهم تعودوا أن يفحصوا بدقة عناصر الكلمة، ولكنهم لا يهتمون بمعنى المقروء اهتماماً كافياً.

٤. إن نطق التلاميذ الذين يتعلمون بالطريقة التركيبية (هجائية كانت أو صوتية) مُفَكَّكٌ ومُجَزَّأٌ، فهم ينطقون الكلمة حرفاً حرفاً، وقد يتحفظ التلاميذ من قراءة الكلمة إذا لم تكن حروفها مشكولة، وذلك لأنهم لا يسترشدون بمعنى الكلمة لينطقوا بها.

ثانياً: الطريقة التحليلية

تبدأ هذه الطريقة بتعليم الكل والانتقال إلى الجزء، وذلك بتعليم التلاميذ الكلمات المفردة أو العبارات، ثم تحليل الكلمات إلى الحروف التي تتألف منها، عكس الطريقة التركيبية التي تبدأ بتعليم الحروف ثم تركيب الكلمات منها، وتشتمل الطريقة التحليلية على عدة طرائق من أهمها: طريقة الكلمة وطريقة الجملة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١ . طريقة الكلمة:

وتبدأ بتعليم الكلمات قبل الحروف، وهي تستلزم عادة أن نعرض على المتعلم عدداً من الكلمات أولاً، وأن نختار هذه الكلمات بحيث يمكن تركيبها بسهولة لتصبح جملاً، ثم نقوم بتجريد الكلمة إلى حروف، ثم تكوين كلمات جديدة من الحروف المجردة، ومن الكلمات الجديدة تتكون الجمل. وطريقة الكلمة من أسرع طرق تعليم المفردات الأساسية للقراءة.

٢ .طريقة الجملة:

تعتمد هذه الطريقة على مبدأ أن الأشياء تلاحظ ككليات، وأن اللغة تخضع لهذا المبدأ، ومن المسلم به أن مادة العقل هي الأفكار في علاقاتها الكاملة، وأن الجملة هي وحدة التعبير، وأن أجزاء الشيء لا يتضح معناها إلا بانتمائها إلى الكل، وعلى هذا فإن الكلمات لا يتضح معناها إلا بانتمائها إلى الكل، ولا يتحدد معناها تحديداً كاملاً إلا إذا انتظمت في جملة.

ويقوم المعلم بتدريب التلاميذ على قراءة جملة وفهم معناها، ثم يقوم بتجريد الكلمات التي تتكون منها الجملة، ثم تحليل الكلمات إلى حروفها وأصواتها، ثم يقوم بتدريبهم على تأليف كلمات جديدة من هذه الحروف.

ومن مزايا الطريقة التحليلية في التعليم:

١ . أنها تسهل عملية تعلم القراءة، لأنها تتمشى مع الطريقة الطبيعية التي يدرك بها الإنسان الأشياء ويتعلمها.

٢ . أنها تستغل دوافع المتعلم وطاقاته بما تقدمه إليه من جمل وكلمات تتصل بخبراته وأغراضه وتتلاءم مع قدراته واستعداداته.

٣ . أن اهتمامها بالمعنى منذ البداية في تعلم القراءة يُكَوِّنُ عند المتعلم الميل إلى البحث عن المعنى، والاهتمام بالموضوع أثناء القراءة.

٤ .أنها تُعَوِّدُ المتعلم السرعة والانطلاق في القراءة كنتيجة طبيعية لإقباله على

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القراءة وفهمه لما يقرأ، وتُعَوِّدُهُ تَعَرُّفَ الكلمات من النظرة الأولى.

ومن عيوب هذه الطريقة:

١. أنها تتطلب في المعلم إعداداً خاصاً، وقدرة خاصة على استخدام الكتاب المدرسي وتطويعه.

٢. أنها لا تعنى عناية خاصة بالمهارات اللازمة للتعرف على الحروف، وهذا يؤدي إلى عدم التعرف على الكلمات، وأي قصور في التعرف على الكلمات والحروف يعتبر خطأً جسيماً وعيباً في تدريس هذه الطريقة[١].

تلكم هي أشهر طرائق تعليم المبتدئين القراءة والكتابة، وهي جزء من عملية مستمرة لاكتساب المهارات اللغوية، لكن الإخفاق في هذه المرحلة سوف تنعكس سلباً على المراحل اللاحقة، ومن ثم يجب التأكد من أن المتعلم قد حاز القدرة على تحويل الصوت المسموع إلى رمز مكتوب، وتحويل الرمز المكتوب إلى صوت مسموع، قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية، لضمان عدم تعثره في مسيرته التعليمية.

وقد يتساءل القارئ عن الطريقة المثلى التي يمكن أن تحقق ذلك الهدف، وقد يتعدد الجواب بتعدد الأشخاص والأماكن والأزمنة، ويُفَضِّلُ البعض الجمع بين أكثر من طريقة في آن واحد[٢].

ولعل سر نجاح عملية تعليم القراءة والكتابة للمبتدئين تعتمد على المعلم أكثر من اعتمادها على الطريقة أو الكتاب، فالمعلم الناجح يجعل من أي من الطرق التي تحدثنا عنها وسيلة يبلغ من خلالها بتلاميذه إلى مرحلة القدرة على القراءة الصحيحة

---

(١) طُبِّقَتْ هذه الطريقة في حملة محو الأمية للكبار في العراق في ثمانينيات القرن الماضي، ولم يكن إعداد المعلمين كافياً، فأخفقت الحملة في تحقيق أهدافها في كثير من المناطق، ولم يبق في ذاكرة كثير من المتعلمين إلا جملة (راشد يزرع)، التي لم يتمكن الدارسون من تحليلها وأمثالها إلى الحروف المكونة لها، والتي يمكن أن يستعملوها في توليد كلمات جديدة.

(٢) ينظر: ساطع الحصري: طريقة تعليم الألفباء ص١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والكتابة السليمة، والقدرة على التعبير عن الذات، وفهم ما يقوله أو يكتبه الآخرون.

ولا شك في أنَّ مَن مارس مهنة تعليم المبتدئين القراءة والكتابة أقدر من غيره على تقويم تلك الطرق والحكم عليها واختيار أفضلها، كما أن المتخصصين بطرائق التدريس والعلوم التربوية أعرف من غيرهم بمزايا تلك الطرق وعيوبها، ولكن ينبغي عدم التسرع في الحكم على أي من الطرق قبلَ القيام بتجارب عملية على مجموعات من التلاميذ كل مجموعة يجري تعليمها بإحدى تلك الطرق، ثم يُنْظَرُ في النتائج لاستخلاص الحكم المناسب على كل طريقة.

وإلى أن يتحقق ذلك فإنه يمكن الترجيح بين تلك الطرائق، والقول: إن الطريقة التركيبية أكثر ضماناً للنتائج من الطريقة التحليلية، وقد تكون الطريقة التركيبية الهجائية أسرع في التعليم من الطريقة التركيبية الصوتية بالنسبة للكبار، وإذا اخترنا الطريقة التركيبية الصوتية لتعليم الصغار فيجب التأكد من أن التلاميذ قد تعلموا جميع حروف الهجاء، وأتقنوا قراءتها ورسمها، وقد يكون من المفيد تطعيمها بالطريقة الهجائية لضمان معرفتهم بجميع حروف الهجاء في وقت مبكر من السنة التعليمية الأولى لهم، لأن الحروف التي تحتل الصفحات الأخيرة من الكتب المدرسية لن تجد الوقت الكافي للتعليم والتدريب عليها، وقد تظل صورتها مشوشة في عقول المتعلمين بسبب ذلك.

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

خاتمة

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ بكتابة هذه الصفحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وبعد.

فأرجو أن يكون ما كتبتُهُ في الإجابة على المسائل المذكورة ما يحقق بعض ما يسعى في الوصول إليه أخي الأستاذ منصور، فهذا ما تيسر لي القيام به، وإني أعلم أن بضاعتي مزجاة ولكن عَزَّ عليَّ إهمال رغبته، حتى وإن كانت إجابتي قاصرة عن تحقيق كل ما كان يؤمله، فعسى أن تفتح له هذه الأجوبة باباً من العلم يمكنه من مواصلة البحث فيه، وأن يحقق ما عجزت أنا عن تحقيقه.

وإذا ما لقيت هذه الأجوبة قبولاً منه، وقرَّر أنها لا تخلو من الفائدة لقارئها، أمكن أن أعرضها على المهتمين بالموضوعات التي تناولتها، لتمحيصها و إنضاجها، قبل نشرها على نطاق أوسع.

وجزى الله تعالى الأخ منصور أبو بكر كل خير فهو الذي حرَّك قلمي لتدوين هذه الصفحات، والعالم والمتعلم شريكان في الأجر إن شاء الله تعالى، وهو ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المصادر

١. إبراهيم أنيس (دكتور):

أ. الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١م.

ب. في اللهجات العربية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٣م.

٢. الإستراباذي (رضي الدين محمد بن الحسن): شرح الشافية، تحقيق محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.

٣. الأشقر (محمد سليمان): الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي، ط١، دار البحوث العلمية، الكويت، الدار العلمية، بيروت ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

٤. الأندرابي (أحمد بن أبي عمر): الإيضاح في القراءات، تحقيق منى عدنان غني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات ـ جامعة تكريت ـ ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٥. بروكلمان (كارل): فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مطابع جامعة الرياض ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٦. البندنيجي (أبو بشر اليمان بن أبي اليمان): التقفية في اللغة، تحقيق د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧م.

٧. الجامعة الأردنية: الازدواجية في اللغة العربية (وقائع ندوة) عمان ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.

٨. ابن الجزري (أبو الخير محمد):

أ. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.

ب. النشر في القراءات العشر، مراجعة علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٩. الجمزوري (سليمان بن حسين): فتح الأقفال بشرح متن تحفة الأطفال، صححه علي محمد الضباع، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م.

١٠. ابن جني (أبو الفتح عثمان):

أ. الخصائص، ط٤، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م.

ب. سر صناعة الإعراب، ط١، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، بمصر ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

١١. جواد علي (دكتور): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثامن، ط١، آوند دانش للطباعة والنشر ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

١٢. الحداد (محمد علي خلف الحسيني): تحفة الراغبين في تجويد الكتاب المبين، ط١، مصر ١٣٤٤هـ.

١٣. حمزة بن الحسن الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق محمد أسعد طلس، دمشق ١٩٦٨م.

١٤. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٥٧م.

١٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج١، تحقيق د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٦. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):

أ. الألفات ومعرفة أصولها، تحقيق غانم قدوري الحمد، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الأول (ص٣٣ ـ ٣٨٠)، جده ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

ب. البيان في عَدِّ آي القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

ج. التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٩٩٩م = ١٤٢٠هـ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

د. المحكم في نقط المصاحف، تحقيق د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

هـ. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٤٠م.

١٧. ابن الدهان (محمد بن علي): تقويم النظر في الأدلة واختلاف الفقهاء، مخطوط في دار الكتب المصرية (الرقم ٥٢ فقه شافعي).

١٨. ديرينجر (دكتور): الكتابة، ترجمة د. عامر سليمان، المجمع العلمي، بغداد ٢٠٠١م.

١٩. الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية، استانبول ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

٢٠. رمضان عبد التواب (دكتور): في التطور اللغوي، ط١، القاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

٢٠. رمزي بعلبكي (دكتور): الكتابة العربية السامية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.

٢١. الزجاجي (عبد الرحمن بن محمد):

أ. كتاب الخط، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

ب. كتاب الجمل في النحو، ط٤، تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

ج. مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكويت ١٩٦٢م.

٢٢. الزركشي (محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٣. الزركلي (خير الدين): الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.

٢٤. زكريا الأنصاري (القاضي): تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، تحقيق د. محيي هلال السرحان، بغداد ١٩٨٧م.

٢٥. ساطع الحصري (أبو خلدون):طريقة تعليم الألفباء،ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م.

٢٦. ابن السراج (محمد بن السري): كتاب الخط، تحقيق د. عبد الحسين محمد، مجلة المورد مج٥ ع٣، بغداد ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٢٧. السعيدي (أبو الحسن علي بن جعفر): رسالتان في تجويد القرآن، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

٢٨. ابن سلاَّم (محمد): طبقات الشعراء، ليدن ١٩١٣م.

٢٩. سهيلة عبد الله (أم أحمد): اقرأ، منهج تعليمي لتجويد القرآن الكريم، ط١، البحرين ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٣٠. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

٣١. ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله): أسباب حدوث الحروف، طبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٢هـ.

٣٢. السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

أ. الأشباه والنظائر، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩هـ.

ب. المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م.

٣٣. الشريف الجرجاني (السيد علي بن محمد): شرح المواقف، ط١، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.

٣٤. الشهرزوري (المبارك بن الحسن): المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر، تحقيق عثمان غزال، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٥. الشيرازي (نصر بن علي المعروف بابن أبي مريم): الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق د. عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٣٦. الصفاقسي (علي بن محمد النوري): تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

٣٧. الصفدي (خليل بن أيبك)، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ط١، تحقيق السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٣٨. الصولي (محمد بن يحيى) أدب الكُتَّاب، صححه محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.

٣٩. طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى): مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٤٠. طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٤١. عامر سليمان (دكتور): الكتابة المسمارية والحرف العربي، مطابع جامعة الموصل (د. ت).

٤٢. عبد العزيز حافظ عمر حافظ: مختصر الطريق الصحيح لمخارج الحروف، ط٢، المدينة المنورة ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٤٣. عبد المجيد سيد أحمد منصور(دكتور): علم اللغة النفسي، مطابع جامعة الملك سعود، ط١، الرياض ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٤٤. العسكري (أبو أحمد الحسن بن عبد الله): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ط١، تحقيق عبد العزيز أحمد، البابي الحلبي بمصر ١٩٦٣م.

٤٥. ابن عطية (عبد الرزاق بن غالب): المحرر الوجيز في تفسير العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤٦. أبو العلاء العطار (الحسن بن أحمد الهمذاني): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٤٧. علي أحمد مدكور(دكتور): تدريس فنون اللغة العربية، ط١، دار المسيرة، عمان ٢٠٠٩م = ١٤٣٠هـ.

٤٨. علي حلمي موسى (دكتور) وعبد الصبور شاهين (دكتور): دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر، مطابع دار السياسة، الكويت ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م.

٤٩. علي القاري (ملا علي بن سلطان محمد): المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٥٠. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م.

٥١. أبو عمرو الشيباني (إسحاق بن مِرَار): كتاب الجيم، تحقيق إبراهيم الأبياري، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٥٢. غانم قدوري الحمد:

أ. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار، عمان ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

ب. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، دار عمار، عمان ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

ج. شرح المقدمة الجزرية، الطبعة الأُولى، معهد الإمام الشاطبي، الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في جدة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

د. علم الكتابة العربية، دار عمار، عمان ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

٥٣. ابن فارس (أحمد): الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٧م.

٥٤. الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد): معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وآخرين، دار الكتب، القاهرة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٥٥. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم):

أ. تأويل مشكل القرآن، ط٢، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣م.

ب. الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٧م.

٥٦. القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨١م.

٥٧. كمال بشر (دكتور): علم الأصوات، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.

٥٨. المالقي (أحمد بن عبد النور): رصف المباني في شرح حروف المعاني، ط٣، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

٥٩. المباركي (يحيى بن علي بن يحيى ـ دكتور): القيمة الكمية والزمنية لصويت القلقلة في الأداء القرآني، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٨، السنة ١٤١٩هـ (ص١٧٢ ـ ٢٥٦).

٦٠. المبرد (محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة.

٦١. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، القاهرة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٦٢. محمد علي الخولي (دكتور): معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢م.

٦٣. محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

٦٤. المرادي (الحسن بن قاسم): المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد، تحقيق د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، الزرقاء ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

٦٥. المرعشي (محمد أبي بكر الملقب ساچقلي زاده):

أ. بيان جهد المقل، بهامش جهد المقل، مؤسسة قرطبة، القاهرة ٢٠٠٤م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ب. جهد المقل، تحقيق د. سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

٦٦. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الأساسي، لاروس ١٩٨٩م.

٦٧. ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، طبعة بولاق.

٦٨. موسكاتي (سبتينو): الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة.

٦٩. ابن الناظم (أبو بكر أحمد بن محمد): الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، تحقيق عمر عبد الرزاق معصراتي، الجفان والجابي، دمشق ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٦م.

٧٠. ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق رضا ـ تجدد، طهران ١٩٧١م.

٧١. نصر الهوريني: المطالع النصرية للمطابع العصرية في الأصول الخطية، ط٢، بولاق، القاهرة ١٩٠٢م.

٧٢. نور محمد حقاني (الشيخ): القاعدة النورانية، تحقيق المهندس محمد فاروق الراعي، ط١، جدة ١٤١٩هـ.

٧٣. ابن وثيق (إبراهيم بن محمد): الجامع لما يُحْتَاج إليه من رسم المصحف، تحقيق غانم قدوري الحمد، مطبعة العاني، بغداد ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٧٤. ابن يعيش (يعيش بن علي): شرح المفصل، الطباعة المنيرية، القاهرة.

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهرس الموضوعات

الإهداء ٤

مقدِّمة ٥

المسألة الأولى ٨

حروف الهجاء: أسماؤها، وترتيبها، وفائدة تعلمها ٨

المطلب الأول: نشأة الكتابة، وتاريخ تطورها: ٩

المطلب الثاني: أسماء حروف الهجاء ١٣

المطلب الثالث: ترتيب الحروف ١٩

(١) الترتيب القديم (الأبجدي) ١٩

(٢) الترتيب الحديث (الألفبائي) ٢٢

(٣) الترتيب الصوتي ٢٨

المطلب الرابع: فائدة معرفة ترتيب الحروف: ٣١

(١) الترتيب الأبجدي للحروف: ٣٢

(٢) الترتيب الألفبائي: ٣٤

(٣) الترتيب الصوتي ٣٥

المسألة الثانية ٣٦

الحركات: طبيعتها، وعلاماتها، ووظيفتها ٣٦

المطلب الأول: طبيعة الحركات الصوتية ٣٦

المطلب الثاني: علامات الحركات ٤٣

(١) حروف المد: ٤٣

(٢) علامات الحركات ٤٥

(٣) علامات أُخرى ٤٨

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: وظيفة الحركات في اللغة ٥٠

المسألة الثالثة ٥٥

الهمزة: مصطلحاً، وصوتاً، ورسماً، ووظيفة ٥٥

المطلب الأول: مصطلح الهمزة ٥٦

المطلب الثاني: صوت الهمزة ٥٩

المطلب الثالث: رسم الهمزة ٦١

(١) مذهب أهل التحقيق: ٦١

(٢) مذهب أهل التسهيل: ٦٢

المطلب الرابع: وظيفة الهمزة ٦٥

(١) تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية ٦٥

(٢) دور الهمزة في حروف الزيادة ٦٦

(٣) دور الهمزة في التوصل إلى النطق بالساكن: ٦٧

المسألة الرابعة ٦٩

ظواهر صوتية ونطقيه متفرقة ٦٩

المطلب الأول: القلقلة ٦٩

المطلب الثاني: الغنة والتنوين ٧١

المطلب الثالث: أل الشمسية والقمرية ٧٤

المسألة الخامسة ٧٧

الفُصْحَى والعَامِيَّةُ ٧٧

(١) الازدواجية اللغوية ظاهرة عالمية: ٧٩

(٢) الازدواج اللغوي في العربية قديم ٨٠

(٣) سقوط ذريعة الازدواج اللغوي ٨٠

(٤) ارتباط العربية بالقرآن الكريم أهم عوامل بقائها ٨٠

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

(٥) دَوْرُ المُعَلِّم ٨١

المسألة السادسة ٨٣

الطريقة المثلى لتعليم القراءة والكتابة ٨٣

المطلب الأول: طرائق تعليم القراءة والكتابة في التراث العربي ٨٥

المطلب الثاني: الطرائق الحديثة في تعليم القراءة والكتابة ٩٥

أولاً: الطريقة التركيبية ٩٥

١. الطريقة الهجائية: ٩٦

٢. الطريقة الصوتية: ٩٦

ثانياً: الطريقة التحليلية ٩٧

١. طريقة الكلمة: ٩٨

٢. طريقة الجملة: ٩٨

خاتمة ١٠١

المصادر ١٠٢

فهرس الموضوعات ١١٠

** ** **

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية